رواية الوريثة
من تأليف: ناعسة الطرف

ليست كلّ القصص تبدأ بولادة، ولا تنتهي بموت.
وبعض الحكايات... لا تُروى بصوتٍ واحد.

في زمنٍ تلاشى فيه الفارق بين الحقيقة والحلم،
كانت هناك فتاة تُدعى سيرين.
لم تكن تعرف أنّ دمها يحمل إرثًا منسيًا،
وأنّ ظلّها يخفي اسمًا آخر... اسمًا لم يُنطق من قبل.

في الليلة التي انشقّ فيها الضوء،
وفي المعبد الذي نسيه الزمن،
تغيّر كل شيء.

في هذه الحكاية، لا تبحث عن يقين.
فهنا، تنقسم الأرواح،
وتهمس الجدران،
ويُعاد رسم العالم... باسمٍ جديد.

السماء كانت مُظلمة على نحو غير طبيعي.

لا نجمة تُرى، ولا قمر يعلّق سكينه الفضية فوق الأشجار. فقط صمت كثيف، كأن العالم قد احتبس أنفاسه بانتظار شيء ما... شيء سيئ.

كانت سيرين تركض.
صوت أنفاسها يتلاحق، والندى يلسع ساقيها العاريتين وهي تخترق الغابة، تُبعد الأغصان الغليظة بيد مرتجفة. لم تكن تعرف كيف وصلت إلى هنا، فقط شعور غريزي دفعها — صوت خافت في عقلها يقول : *أسرعي... قبل فوات الأوان.*

ثم رأتها.
في قلب دائرة من الحجارة القديمة، تقف فتاتان. واحدة ترتجف وقد قُيدت أطرافها بأشرطة من القماش الأسود، والأخرى تهمس بلغة غريبة بينما ترفع يديها نحو السماء.

نار مشتعلة تتوسط الدائرة، وهالة خضراء باهتة تتراقص على أطرافها.

"توقفي"!
صرخت سيرين، دون أن تفكر. تقدمت إلى الدائرة، لكن الأرض اهتزت تحت قدميها، ولفحها هواء ساخن كأن النار غضبت من مقاطعتها.

الفتاة التي تقيم الطقس التفتت ببطء، وابتسامة مشوهة ترتسم على وجهها.
"لقد تأخرتِ يا سيرين... الطقس بدأ. لا أحد يوقفه الآن".

لكن سيرين لم تتوقف. قفزت داخل الدائرة، جذبت الفتاة المربوطة بقوة، ودفعت بجسدها خارج النيران، بينما سُمِع صوت تمزق في الهواء، كأن شيئًا غير مرئي قد انكسر.

صرخة غضب شقت الأفق.

ثم ركضتا.
سيرين تجر الفتاة خلفها، تلتفت خلفها لترى الأخرى تلحق بهما، عيناها تشتعلان بلون أحمر.

لم تتوقف حتى وصلت إلى منزل جدها.
البيت العتيق في طرف الغابة. باب خشبي، نوافذ مغلقة، ولا ضوء ينبعث من الداخل.

طرقت الباب بجنون.
"جدي! افتح الباب! أرجوك! أرجوك"!

الفتاة تتنفس بهدوء خلفها، تنظر لها دون خوف، بعيون لا تعكس طفولة أو فزع... بل ترقب.

عندما فُتح الباب أخيرًا، وانسكب الضوء الخافت من الداخل...

لم تكن الفتاة خلفها فتاةً بعد الآن.

بل قطة.
سوداء، بعيون خضراء تشع وهجًا خافتًا... نفس الوهج الذي كان يراقص أطراف النار.

رفعت سيرين يديها في ذهول، والقطّة تموء بنعومة، ثم تنظر لها مطولًا... وتميل برأسها كأنها تقول :*شكرًا لأنك أتممتِ الطقس عني.*

شعرت سيرين بالبرد يتسلل إلى قلبها، أكثر برودة من ليل الغابة.

الطقس لم يُمنع.

بل اكتمل ...**بفضلها.**

قبل عشرين عامًا – الغابة ذاتها

كانت الليلة صامتة كأن الأرض خائفة من أن تتنفس.

امرأة بثوب أسود تمشي بخفة فوق العشب، وخلفها طفلة صغيرة في التاسعة من عمرها، تلهث وتتساءل همسًا:
"أين نذهب يا أمي؟"

لم تُجبها المرأة.
أخرجت من كيسها حجرًا دائريًا منقوشًا برموز ملتفة، ووضعته وسط دائرة ترابية محفورة مسبقًا. ثم أشعلت نارًا صغيرة، ورشت شيئًا من زجاجة خضراء فوق اللهب، فاشتعل بلون أزرق غريب.

همست الأم بكلمات غير مفهومة، ورفعت يديها نحو السماء:
"بدم من اختاروه... يُفتح الباب.
وبقلب من أحبوه... يُستدعى القديم".

الطفلة نظرت إلى أمها، ثم إلى النار.
وفي عينيها، ارتجف ظلّ ...**ظلّ جنيّ يستيقظ لأول مرة.**

قبل تسعة أعوام – في مكان منسي

لم تكن تُسمى بعد، ولم يُكتب لها اسم.

كانت صرخةً أولى في مغارة باردة، ووهج شمعة يتراقص على جدران حجارة مشققة. امرأة بثوب أبيض ممزق تحتضن طفلتها الوليدة، ويدها ترتجف بينما ترسم شيئًا على جبهة المولودة... دوائر تتشابك، تتلوى، كأنها تعويذة.

رجل مسن يقف خلفها، عينيه بيضاء كأنهما نُسجتا من رماد.

قال بصوت أجش:
"واحدة من نسلها ستُفتح بها البوابة".

سألت المرأة، وعيناها تنزف خوفًا:
"أي بوابة؟"

قال:
"البوابة التي لا تُفتح إلا بالنار... والنية الطاهرة".

ثم نظر إلى الطفلة وأضاف هامسًا:
"وهذه... نقيض الطهارة".

وبعدها... أُطفئت الشمعة.

وظلّت **النار تنتظر ثلاثين عامًا**.

الحاضر – في منزل الجد

سيرين جلست على الأرض، وظهرها يسند الجدار، تتنفس بسرعة وكأن قلبها يحاول الفرار من جسدها.
القطة السوداء تتمدد أمامها بهدوء مزعج، تلعق كفّها، ثم تنظر إليها بعينيها المتوهجتين.

قال الجد، وهو يغلق الباب خلفه:
"من هذه؟ ولماذا أتيتِ بها إلى هنا؟"

تلعثمت سيرين، وهي لا تزال تنظر للقطة.
"كانت... فتاة. أردتُ إنقاذها من طقس... من نار... لكن... لما فتحت الباب تحولت بين يديّ".

اقترب الجد ببطء، وجهه لا يحمل دهشة بل شيئًا آخر ...**حزنًا عتيقًا.**

"كم كان عمرها؟" سأل بهدوء.

"حوالي الثالثة عشرة"...
ثم أضافت، هامسة، "لكنها لم تكن خائفة. لم تصرخ. كأنها كانت تعرف ما سيحدث".

جلس الجد أمامها، وقال كأنما يتحدث إلى نفسه:
"إذن... الطقس اكتمل، رغم محاولتك. وهذا يعني"...

نظر إلى القطة، التي توقفت عن لعق كفّها، وقال:
"العلامة عادت".

رفعت سيرين نظرها إليه.
"أي علامة؟"

أجاب الجد، وهو ينهض:
"أحفاد القربان... من ظننا أن دمهم اختفى. إنهم يعودون الآن، واحدًا تلو الآخر".

قبل خمسة وعشرين عامًا – داخل الدير القديم

كانت الأمطار تهطل بشراسة، تدقّ على السقف المعدني كأنها أصابع من نار.
في الداخل، وقف طفل صغير أمام تمثال حجري ضخم، يمدّ يده ويرسم فوق الجدار بدمه.

راهبة عجوز تراقبه بصمت، لا تحاول منعه.

قالت له بهدوء:
"سيقولون إنك شيطان... لكننا نعرف أنك مفتاح".

ردّ الطفل دون أن يلتفت:
"أريد أن أراها تحترق... أمي".

فقالت الراهبة:
"ستراها. لكن ليس الآن".

ثم طفت الشموع من تلقاء نفسها.

الحاضر – في منزل الجد

مرّت ساعات على الليلة السابقة، لكن **سيرين لم تنم**.
جلست قرب الموقد الذي لا يبعث دفئًا، وعيونها تراقب القطة. تلك القطة لم تتحرك منذ وقت طويل، وكأنها تنتظر... شيئًا.

"هل أنتِ جنيّة؟"
سألتها سيرين بصوت منخفض، ليس لأنها تتوقع جوابًا، بل لأنها لم تعد تعرف من تخاطب.

رفعت القطة رأسها، و**أطلقت صوتًا ليس مواءً**، بل كأنه **ضحكة خفيفة**، رنّت في عقل سيرين لا في أذنيها.

"أنتِ من جلبتِني، سيرين".

شهقت.
"أنت... تتكلمين؟"!

"لا، لكنك تسمعين. وهذا يكفي".

نهضت سيرين، تتراجع إلى الخلف، تصطدم بالطاولة.
"ماذا كنتِ؟ تلك الليلة؟ كنتِ فتاة"...

"كنتُ شكلًا. شكلًا تحتاجينه لتصدقي، لتتحركي، لتُكملي الدور".

تدخل الجد في تلك اللحظة، حاملاً كتابًا قديمًا، جلده متشقق، وصفحاته متآكلة.
وضعه على الطاولة، وقال:
"جلبتِ لنا ورثة الدم، يا سيرين. لقد بدأ كل شيء من جديد".

أشارت سيرين إلى القطة، عيناها تتسعان بالرعب:
"ما الذي تقوله؟ ما معنى هذا؟"

فتح الجد الكتاب على صفحة مرسوم فيها **قلب يخرج منه لهب، وتحته طير يتحول إلى قطة.**
"هذه ليست أول مرة يحدث فيها هذا، يا ابنتي. والفتاة التي رأيتِها... ليست أول ضحية، ولا الأخيرة".

رفعت القطة ذيلها، وتقدّمت بخطى هادئة، ثم قفزت إلى الطاولة، وجلست فوق الرسم بالضبط.

قالت ...**أو فكّرت، أو همست داخل روح سيرين:**
"كل ما أردته... أن أُولد من جديد".

قبل ستة عشر عامًا – على حافة النهر الأحمر

كانت الأم تغسل ثوبًا غارقًا بالدم في ماء النهر، والماء لا ينظف، بل يصبغ بقعة أوسع على القماش.

خلفها، طفلة صغيرة تجلس القرفصاء، تراقب، ولا تسأل.

قالت الأم دون أن تلتفت:
"حين تبلغين الخامسة عشرة... سيطلبونك".

همست الطفلة:
"من؟"

ردت الأم:
"الذين لم يموتوا رغم الحرق... الذين بقوا ينتظرونك".

صوت الريح حمل همسة، و**أزهار النهر انطفأت فجأة.**

الحاضر – منزل الجد

سيرين لم تستطع أن تُبعد عينيها عن الكتاب.
الرسم القديم الذي تجلس فوقه القطة أصبح ينبض... ليس مجازًا، بل نبضًا حقيقيًا، خفيفًا، كأن الحياة تنبع من الورق.

"هذا مستحيل"...
قالتها وهي تمسح عينيها، لكن الصورة بقيت، والقطة لم تتحرك.

قال الجد بصوت متعب:
"الكتاب ليس مجرد سجل. إنه مرآة. يظهر لمن يرى".

سألت سيرين بحدة:
"من أنا إذن؟ لماذا أنا؟ لما تتصرفون كأنني كنتُ أعرف؟"

تنهد الجد، واقترب منها.
"لأنك كنتِ تعرفين... قبل أن تُولدي. ما جرى في الليلة الماضية لم يكن صدفة. ما اخترته لم يكن إنقاذًا، بل استدعاء".

صرخت:
"أنا أنقذتها! كانت تحترق"!

"لا، يا سيرين... كانت تتجسد".

ثم أخرج من جيبه قلادة قديمة.
معدنها أسود، يتوسطها حجر أزرق تتداخل فيه شرارات خفيفة.

"هذه تخص والدتك. كانت تعرف كل شيء... وحاولت أن تُبعدك عن مصيرك".

نظرت سيرين إلى القلادة، وأحست بحرارة خافتة تنبعث منها.
ثم تذكّرت:
أمها كانت تخبئها دومًا، وتمنعها من لمسها.
لماذا؟ ما الذي كانت تخاف منه؟

وقبل أن تنطق، **تحدثت القطة** من جديد، بصوت أوحش:

"الطقوس لا تُلغى. إنها تدور... وتعود. والدم لا يُغفر".

ثم ...**اختفت**.

نعم، اختفت. لم تتبخر، لم تركض، فقط ...**لم تعد موجودة**.

نظرت سيرين إلى الجد، ووجهها يشحب:
"ماذا يعني هذا؟"

ردّ بصوت خافت كالصلاة:
"يعني أن ما في الداخل... خرج".

قبل سبعة أعوام – الدير المغلق

جلس صبيّ مراهق أمام باب الدير، يكتب في دفتر جلدي قديم.
كان كل ما حوله ساكنًا، حتى الطيور لم تُصدر صوتًا، وكأن المكان محاط بجدار غير مرئي من الصمت.

كتب:

"إنهم لا يعلمون أن النار لا تطلب القربان، بل ترشّحه.
الذي يُلقى فيها... لا يُحترق، بل يُستبدَل".

ثم أغلق الدفتر، ونهض، وطرق باب الدير ثلاث مرات.

فتح الباب راهب بعينين شاحبتين، وقال ببطء:
"مرحبًا بك يا ليوس... كنتَ آخر من تبقّى".

الحاضر – المنزل، بعد اختفاء القطة

مرت ساعات على اختفاء القطة، لكن أثرها بقي في المكان: رائحة رماد خفيفة، وظلال لا تتحرك في زوايا الغرفة.

كانت سيرين تجلس في المطبخ، تُقلّب القلادة بين أصابعها.
قالت للجد:
"أريد أن أعرف كل شيء... عن أمي، عن الطقوس، عن هذا الشيء الذي أطلقتُه".

هز الجد رأسه، وقال:
"أنا أعرف القليل فقط. والدتك كانت تحاول أن تُبعدك، لكنها لم تستطع إيقاف ما كُتب في دمك".

سألته:
"هل كانت... جزءًا منهم؟"

"بل كانت ضدهم. ولهذا اختفَت".

قبل أن تستوعب كلماته، طرق الباب فجأة.

وقف الجد بسرعة، نظرة توتر واضحة في وجهه.
"لا أحد يعرف أننا هنا"...

فتح الباب بحذر.

كان الطارق شابًا بملامح هادئة، يحمل دفترًا جلديًا، وعيناه مائلتان للرمادي.
قال بهدوء:

"أنا ليوس.
أتيتُ لأن القطة اختفت".

جلس ليوس قبالة سيرين، وضع دفتره على الطاولة، وبدأ في تصفحه حتى وصل إلى صفحة معينة.
ثم رفع نظره إليها، وقال:

"من رأيتِها لم تكن جنيّة فقط... كانت وعاء. الظلال التي خرجت منها تبحث الآن عن الجسد المناسب".

سألته:
"ماذا تعني؟"

أجاب ببطء، كمن يزن كلماته:

"الطقس الذي بدأ تلك الليلة... لم يكن فقط لاستدعاء كيان.
بل لاختياره.
وكانت هناك ثلاث احتمالات: القربان، السيدة، أو **الوريثة**".

سكت للحظة.

"وأنتِ...
الاحتمال الثالث".

مقتطف من دفتر ليوس – الصفحة 73

..."في كل دورة من الدم، تظهر فتاة لا تعرف نفسها.

يسمونها الوريثة.

ليست بنتًا من لحم فقط، بل من أثر. من إرث النار والظلّ.

إن لم تُستدعَ، تُجنّ.

وإن لم تُقدَّم، تُفسد" .

الحاضر – المنزل، بعد منتصف الليل

كان البيت ساكنًا.
أصوات الليل تهمس عند النوافذ، وصفحات دفتر ليوس تُقلب ببطء أمام عيني سيرين.

"من كتب هذا؟" سألت.

"كل من نجا"، قال ليوس.
"من نجا من الطقوس، أو من شاهدها تكتمل. كلهم كتبوا فيه، عبر أجيال. وأنا فقط... أحفظ".

صفحة أخرى، ثم توقفت سيرين عند رسم باهت لامرأة تقف على صخرة، تحيط بها كائنات تشبه البشر، لكن وجوههم مشوّهة كأنها تنصهر.

وتحت الرسم، كُتب:

"حين تعود الوريثة، ستنقسم الأرض...
بين من يركع لها، ومن يحاول قتلها".

شحب وجه سيرين.
"أنا لا أريد شيئًا من هذا. لا أريد طقوسًا، ولا قوى، ولا قربانًا".

لكن ليوس لم يُظهر شفقة.
"ليس الأمر ما تريدينه، بل ما أنتِ عليه".

صمت.

ثم أضاف:
"ولهذا السبب... يجب أن نذهب".

رفعت نظرها إليه.
"إلى أين؟"

"إلى الدير. هناك كُتب أصل السلالة. وهناك... ربما نعرف من كانت أمك حقًا".

الطريق إليه ليس معبّدًا.
غابة كثيفة، أشجارها تهمس بلغة لا تُفهم، والهواء يثقل مع كل خطوة.

اقتربت سيرين من البوابة القديمة، فشعرت بقلبها يخفق... لا من الخوف، بل من شيء آخر. كأن **جُزءًا منها قد استيقظ.**

مدّت يدها نحو الباب.
لكن قبل أن تلمسه ...**انفتح من تلقاء نفسه.**

وللحظة خاطفة، رأت ظلًا يعبر من الداخل، سريعًا جدًا... لكن **عينَيه كانت تشبهان عينيها.**

من دفتر ليوس – هامش صغير بخط مجهول

"كل من دخل الدير بقلبٍ فارغ... خرج.

أما من دخل وفي داخله شيء لم يُسمَّ، فقد بقي.
إما ببدنه، أو بأثره" .

الحاضر – داخل الدير

الخطوة الأولى داخل الدير لم تكن كسواها.

هواء المكان ثقيل، كأنهم مرّوا عبر ستارة من الزمن، لا من الخشب والحجر.
الجدران ما تزال قائمة، لكن رائحة الرماد قديمة، ثابتة، لا تمحى.

سيرين توقفت عند قاعة الطقوس، حيث رأت رموزًا منقوشة على الأرض... كانت تشبه تلك التي رُسمت فوق جبهة الطفلة في رؤى الماضي.

"هل كانت أمي هنا؟" همست.

ليوس لم يجب.
بل كان يُحدق في شيء على الجدار: دائرة من الحجارة السوداء، يتوسطها **قفل غريب، بلا مفتاح.**
لكن على حافته، نُقشت عبارة:

"لا يُفتح إلا بنبضٍ من سلالة اللهب".

نظر ليوس إلى سيرين.
"جربي".

ترددت.
لكن يدها امتدت ببطء، ولمّا لامست الحجر، **نبض القفل.**
ثم... انفتح.

وراءه، درج حجري صغير يقود إلى الأسفل... حيث لا نور، ولا ريح، ولا زمن.

قالت سيرين بصوت خافت:
"أشعر... بشيء يتحرك داخلي".

ولأول مرة ...**سُمِع الصوت.**
لم يكن صوتًا خارجيًا، ولا داخليًا بالكامل.
كان كأن حجرًا يتكلم من داخل دمها.

"أخيرًا... عدتِ".

من دفتر ليوس – ملاحظة بلا توقيع

"حين تنزل الوريثة، يُضاء الحجر وحده.

أما إن ظل معتمًا، فهي ليست هي...
بل شيء آخر جاء قبل أوانه" .

الحاضر – الدرج إلى الأسفل

صوت خطوات سيرين يتردد في العتمة، كأنه يتكاثر بدل أن يضعف.
الجدران الرطبة، والأحجار القديمة، وكل نفس تأخذه يجعل الهواء أثقل.

قال ليوس:
"لا أحد نزل إلى هذا المكان منذ أن أُغلقت الطقوس الأخيرة".

سألته:
"ومن أغلقها؟"

رد بصوت خافت:
"أمك".

وصلوا إلى قاعة دائرية، سقفها منخفض، وفي مركزها **منصة حجرية** تحيط بها نقوش نازفة — ليست بالحبر... بل **بدم متحجّر.**

وفوق المنصة، مرآة مغطاة بقماش رمادي قديم.

سألت سيرين:
"ما هذه المرآة؟"

قال ليوس:
"أول طقس وُلدت فيه أمك... آخر مرآة رأت وجهها قبل أن تهرب".

اقتربت سيرين، وبيد مترددة نزعت القماش.
وما إن رأت وجهها، حتى **اختفى وجهها.**

وحلّ محله **وجه آخر** .امرأة... تشبهها.
لكن عينيها كانتا **فارغتين.**

"أنتِ أنا، وأنا أنت.

وأمك؟ كانت بابًا، لا أكثر.

هي من حاولت أن تمنع، لكنها فتحت.

هي من أحبّت، لكنها أنجبت ما لا يُحَب" .

سيرين تراجعت، وقلبها يخفق بجنون.
"من أنت؟"!

"أنا... ما لم تُسمِّه الكتب.

أقدم من الطقس، وأبقى من القربان.

لا أريد جسدك... بل صوتك.

اجعليني أتكلم من خلالك... وسأريك الحقيقة" .

صوت ليوس قطع هذا الحضور الداخلي:
"سيرين، لا تنظري في المرآة أكثر. إنها لا تعكس، بل تزرع".

لكنها لم تسمعه.
عيناها التقتا بعيني المرأة داخلها، و**بدأت الذكريات تتدفق.**

"خذوني أنا بدلاً منها"!

أيدي من رماد تسحب الطفلة بعيدًا...

سقطت سيرين على الأرض، ترتجف.

ليوس أمسك بها، وهو يقول:
"رأيتِه، أليس كذلك؟ الشيء الذي يسكنك؟"

أجابت، وصوتها ليس صوتها تمامًا:
"ليس شيئًا... بل من كنتُ سأصبح... وما زلتُ".

من دفتر ليوس – الصفحة 96

"عندما تظهر الوريثة، لا تعود الأرض آمنة.

لأن من نُفيوا في الطقوس الماضية... سيشعرون بها.

وسيتبعون الرماد حتى يجدوها" .

الحاضر – بعد الخروج من الغرفة السفلى

أغلقت سيرين الباب الحجري خلفها، يداها ترتجفان، والنقوش على جبهتها تحترق دون نار.
نظرت إلى ليوس وقالت:
"أنا لا أعرف من أنا بعد الآن... لكني أعرف أني لم أعد كما كنت".

قال ليوس:
"لقد لمستِ الأصل. والذين لمسوا الأصل لا يعودون سالمين".

لكن قبل أن يكملا، **تصدّع جدار الدير.**

حجر سقط.
ثم حجر آخر.
وصوت همسٍ **قادم من الخارج، لكن يسمعونه من الداخل:**

"هل تظنين أننا لم نشم عودتكِ؟ "

ثلاثة رجال يرتدون معاطف طويلة، ملامحهم مشوّهة كأن الزمن مسحها جزئيًا.
أعينهم سوداء بالكامل.
أحدهم يحمل عصًا محروقة من أحد طرفيها.

قال:
"فتحوها. رائحة الرماد وصلت هنا. الوريثة في الداخل".

ردّ الثاني، بعين واحدة تلمع:
"إن كانت لم تكتمل بعد، يمكن أن نكسرها".

ليوس جرّ سيرين نحو غرفة خلفية، خلف رفوف من الكتب.

"هؤلاء ليسوا أتباعًا... إنهم الصامتون.
هم من بقوا بعد آخر طقس، دون عقل، دون قلب... فقط لتنفيذ العودة".

سألت سيرين، والهواء حولها بدأ يتلوّن:

"هل يمكن قتلهم؟"

"لا.
لكن يمكن تأخيرهم...
إن أعطيتِهم شيئًا يظنونه منك".

سألته، مرتجفة:
"مثل ماذا؟"

نظر إليها، ثم إلى يدها التي تنزف من جرحٍ خفي...

"دمك".

في قاعة الطقوس العليا، وقفت سيرين داخل دائرة قديمة، وليوس يُرتل كلمات من دفتره.
وهي تقطر من يدها قطرات دم فوق الأرض، فتشتعل بلون أرجواني.

همس لها الكيان داخليًا:

*"ألم أقل لكِ؟ هم لن يفهموكِ.

لكني سأحميكِ... بطريقتي"*.

وبينما الدائرة تُغلَق،
صوت انفجار عنيف يهزّ جدران الدير...

لقد دخلوا.

أحد الرجال الثلاثة يقف داخل الدير، يتشمم الهواء، ويبتسم بلا فم.

"إنها هنا...
لكنها لم تعد وحدها".

نظر إلى الحائط، حيث ظلّ سيرين منعكس رغم الظلام،
لكن الظلّ لا يتحرك مثلها...
فقط يبتسم.

من دفتر ليوس – هامش بصفحة ممزقة

"تُكتب رسائل الأمهات بدم الخوف، لا بالحبر.

لكن بعض الرسائل، تُكتب بالحقيقة وحدها...
ولا تحترق، حتى لو أُحرقت."

الحاضر – غرفة الكتب المحرّمة في الدير

بينما أصوات "الصامتين" تقترب، وسيرين تحاول أن تستوعب الدم الذي سال، والحماية المؤقتة التي رسمها ليوس،
سقط كتاب قديم من رف مرتفع، دون أن يلمسه أحد.

جلده مغطى بالغبار، لا يحمل عنوانًا.
فتحه ليوس بفضول، ثم تجمّد.

"هذا... ليس من كتبي".

ناولت سيرين الكتاب، فوجدت في منتصفه **ورقة مطويّة بخيط شعر أسود.**

عندما لمستها... لم تشعر بشيء.
لكن الورقة **نبضت.**

فتحتها، وقرأت:

"إلى ابنتي، التي ستعرف نفسها حين يرفض ظلها أن يطيعها.

لو وجدتِ هذه الورقة، فهذا يعني أن الطقس قد بدأ، وأنك... لم تُختاري فقط، بل تمّ فتحك.

لم أستطع منعهم. لا من حرق الأجساد، ولا من تتبع الدماء.

لكني تركت لكِ شيئًا. شيئًا لم يجرّبه أحد.

طقس يُدعى الفصل الثالث.

إن أتممتهِ، ستصبحين أنتِ... لا هم.

وإن فشلتِ... سيأخذون كل شيء. حتى اسمك.

أحبك، حتى وإن لم تعرفيني.

– أمك" .

التصدّع الأول

أغلقت سيرين الورقة، والدموع في عينيها، لكن يدها ...**تحترق.**

وليس من نار.

بل من **رموز بدأت تظهر على جلدها، كأن شيئًا قد استيقظ، وبدأ يُعدّ نفسه.**

قال ليوس، وهو يحدّق في يدها:
"لقد بدأ الكيان يُعيد تشكيلك".

سألت بخوف:
"هل سأتحول؟"

ردّ بصوت أشبه بالحزن منه بالتحذير:
"لا...
أنتِ لن تتحولي.

أنتِ من سيُحوّل العالم".

على بُعد أميال، عند بحيرة ميتة،
وقفت امرأة تلبس قناعًا من العظام، تحمل بين يديها جمجمة طفل صغيرة.

قالت لمن خلفها:
"الوريثة فتحت الدير".

ردّ صوت خشن:
"وهل الكيان خرج؟"

"لا...
بل *بدأ ينسج نفسه من جديد داخلها*".

ثم نظرت إلى القمر وقالت:

"الفصل الثالث... اقترب".

من دفتر ليوس – الصفحة 100

"الفصل الثالث ليس للوريثة فقط...

بل لكل من حولها.

إما أن يُنقّيها... أو يحرقهم جميعًا معها" .

الكتاب في يدها، يدها تشتعل بالرموز، والهواء من حولها بدأ يسخن.

"علينا الخروج"، قال ليوس وهو يغلق الكتاب.

لكن حين التفتا، وجدا أحد الصامتين في الممر.

لم يتحرك، فقط نظر إليهما بعينين ميتتين، ثم قال:
"لقد تغيرتِ، ورائحتك تؤلمنا.
لكنكِ لم تكتمل بعد... يمكن كسرُك".

ركض ليوس نحو سيرين، سحبها، وانطلقا عبر ممر حجري يؤدي إلى المخرج الخلفي.

"أين نذهب؟!" صرخت.

"إلى وادي الهياكل.
هناك بدأت أمك، وهناك سنبدأ الفصل الثالث".

كانت الغابة كثيفة، لكن ليوس يعرف الطريق.
سيرين بدأت تشعر أن الأرض تتنفس تحتها، وأن الأشجار تهمس لها.

"الهروب لا يُجدي... لا يمكنكِ أن تهربي من نفسك".

قالت له:
"هو يتحدث. الكيان. لا يسكت".

"هذا جيد"، أجاب.
"معناه أنه لم يبتلعك بعد. عندما يصمت... نكون قد خسرناك".

لكن... قبل أن يكملا،
ظهر صامت آخر من الظلال، أسرع من أي بشر.
رمى سكينًا خشبيًا باتجاه سيرين، فأصاب كتف ليوس.

صرخت:
"ليوس"!

سقط على الأرض، يتنفس بصعوبة، الدم يسيل من كتفه.

أمسكت به، والرموز على يدها بدأت تتوهج.

"لا تمُت، ليوس... أرجوك"...

"هل تريدين أن ينقذ؟ أطلبي ذلك".

"أطلب"...

"إذا طلبتِ... سأمنح. لكن بثمن".

لم تُكمل الكلمة.
فجأة، خرج من يدها **ضوء أسود**، طوّق الجرح، وأغلقه... لكن الأرض من تحتها **تشققت.**

نهض ليوس ببطء، وجهه شاحب.

"ما فعلتِه... ليس شفاءً. هذا... كيان آخر بدأ يتنفس".

.

.

.

وصلوا أخيرًا.

وادي صخري ميت، الأشجار فيه بلا أوراق، والسماء فوقه رمادية، كأنها لم تشرق منذ قرن.

في مركزه، دائرة حجرية، محفورة برموزٍ مشابهة لما على جسد سيرين.

قال ليوس:
"هنا... تبدأ النهاية. أو البداية.
هنا... سنجري الفصل الثالث".

من دفتر ليوس – آخر صفحة مكتوبة

"هناك من عبدوا الضوء، فمزّقهم.
وهناك من عبدوا الظل، فابتلعهم.

أما الوريثة... فهي التي تقرر أيّ الطريقين سيبقى" .

سيرين جلست على الحافة الصخرية، تنظر إلى الدائرة الحجرية التي ستبدأ فيها الطقس.
ليوس نائم قريبًا منها، ما زال جرحه حديثًا، رغم أن الكيان أغلقه.

كانت تشعر بأن الأرض تنبض تحتها، نبضًا يشبه قلبًا ليس بقلبها.

"إنه ينتظرني".
قالتها لنفسها، أو لمن يسمعها.

ثم، شعرت بشيء...
شخص ما يقترب.

نهضت بسرعة، وذراعها يتوهج قليلًا بالرموز.

ظهر رجل، خمسينيّ الملامح، ثوبه رماديّ اللون، يلبس قناعًا خشبيًا يُغطي نصف وجهه.
لكن صوته كان واضحًا، رخيمًا.

"اسمي نارون.
وأنا لست هنا لأؤذيك، بل لأريك وجهًا لم يخبرك به أحد".

قالت وهي تحذر:
"اقترب خطوة واحدة، وستندم".

رفع يديه ببطء:
"لا جئت بسلاح، ولا بقسم دم.
جئتُ فقط بكلمات، ربما لن تسمعيها من غيري".

ترددت... لكن شيئًا ما فيها قال:
اسمعي.

جلس أمامها، على بعد خطوات.

قال:
"ما تعرفينه عن أمك ناقص.
هي لم تهرب من الطقوس لأنها خافت عليكِ... بل لأنها خافت من نفسها".

سكت.
ثم أضاف:
"كانت الوريثة قبلك. لكن حين وُلدتِ، **خرج الكيان منها، إليكِ.**
لأنكِ أصلٌ أنقى، وجسدٌ أقوى، ونفسٌ لم تُلوَّث بالمقاومة".

شهقت سيرين.
"ماذا تقول؟"

أجاب:
"أمك كانت وعاءً مؤقتًا.
ولهذا اختفت.
ولهذا كنتِ أنتِ، منذ ولادتك، محاطة بالرماد، حتى قبل أن تفهمي النار".

سكتت سيرين.
أشياء كثيرة في عقلها بدأت تُعاد ترتيبها.
أمها... هل كانت تحاول حمايتها؟ أم تهرب من مصيرها؟

قال نارون:
"أنتِ لا تحملي لعنة، بل **حلًا.**
الكيان ليس دمارًا... بل إعادة خلق.
إذا أتممتِ الطقس، لن تُمحى، بل ستُكشف.
كل من ماتوا في الطقوس الماضية... سيبعثون فيك".

أخرج شيئًا صغيرًا من جيبه...
خصلة شعر رماديّ، مربوطة بخيط أحمر.

"هذا من أمك.
احتفظنا بها، منذ أن اختارت ألا تكمل.
ولكِ أن تُكملي".

ثم نهض، دون أن يهاجم، دون أن يختفي.

قال بهدوء:
"إن قررتِ المضي في الفصل الثالث... الأرض كلها ستتنفس باسمك".

من دفتر غير موقّع – قصاصة ممزقة

"الذين يتبعون الدم لا يسألون من أين أتى، بل لمن ينتمي.

لكن الوريثة الحقيقية لا تكتفي بالاتباع...

بل تكسر الخطّ، وتعيد كتابته" .

الحاضر – عند فجرٍ رمادي

استيقظت سيرين على صوت **حفيف لا يأتي من الأشجار**، بل من **الصخور التي تتنفس**.

وادي الهياكل... كان ينبض.

وقفت، تراقب رموز الطقس على الأرض تتوهج ببطء، كما لو أن الأرض **تستعد لشيء**.

اقتربت من ليوس، كان جالسًا صامتًا، يراقبها بنظرة لا تخلو من الحزن.

قالت له:
"أخبرني الحقيقة... كلها.
عن أمي، عنك، عن الطقس... لا أريد أن أُقاد، أريد أن أختار".

تنهد ليوس، بعمقٍ لم تعهده منه من قبل.

"أمك... لم تكن ضحية.
كانت تعرف.
كانت الوريثة قبلك، كما قال نارون".

"لماذا لم تُكمل؟"

"لأنها رأت ما الذي سيحدث إن اكتمل الطقس.
رأت كيف سيعود الكيان، ليس كدخانٍ يسكن جسدًا... بل كعقلٍ يتّحد بروح".

سألت، وصوتها يرتجف:
"وهل كانت خائفة؟"

"لم تكن خائفة منه...
كانت خائفة *عليكِ*.
لكنها لم تكن قوية كفاية لكسر الدائرة... فهربت".

سكت ليوس لحظة، ثم أضاف:

"وكنتُ أنا... أداةً لحمايتها.
لكني فشلت.
وها أنا الآن... معكِ، أحاول ألا أفشل مرتين".

سيرين نظرت إليه طويلاً، ثم مدت يدها، وناولت ليوس **الورقة التي تركتها أمها.**

"قالت إن هناك طقسًا جديدًا... الفصل الثالث.
أعرف أنه لم يُجرّب من قبل.
لكني سأكون أول من يُجربه".

"قد يقتلك".

"أو يحرّرني".

ثم سكتت، ونظرت نحو مركز الدائرة.

"أنا لن أكون أمّي.
ولن أكون وعاءً للكيان.
سأكون... ما لم يكن في الكتب".

خطت سيرين داخل الدائرة، ويدها اليمنى بدأت تتوهّج بلونٍ لم يُر من قبل :
بنفسجي يتخلله ذهب.

رفع ليوس دفتره، وبدأ يرتل:
"باسم الدم الذي لم يُسفك بعد...
باسم الاسم الذي لم يُنطق بعد...
تبدأ الوريثة الفصل الثالث".

والأرض اهتزّت تحت قدميها.

وفي السماء... انشقّت سحابة واحدة،
وانبعث منها **صوت لا ينتمي لهذا العالم:**

" سيرين... هل ستختارينني؟
أم ستخلقينني من جديد؟ "

من دفتر ليوس – ملاحظة هامشية

"الفصل الثالث لا يبدأ في الأرض.
بل يبدأ في الداخل.

كل من حاول القفز على مرآته... احترق بها."

الداخل – حيث لا أرض ولا سماء

أغمضت سيرين عينيها في مركز الدائرة، بينما ليوس يتلو كلماتٍ منسية.

لكن ما إن لفظ الكلمة الأخيرة... حتى **سقط كل صوت من العالم.**

لم تعد تسمع الريح، ولا الأرض، ولا حتى دقات قلبها.

ثم فتحت عينيها...

ولم تكن في وادي الهياكل بعد الآن.

كانت تقف في **قاعة ضخمة بلا جدران،**
كل ما حولها انعكاس: الأرض مرآة، السماء مرآة، والهواء لا يحمل إلا صدى خطواتها.

وفي أول انعكاسٍ واجهته، لم ترَ نفسها.

بل رأت **الطفلة سيرين.**

تلك التي كانت تبكي دون أن تُفهم.
تلك التي رأت الرماد يغطّي غرفتها ولم تخبر أحدًا.
تلك التي خافت من الظلّ... لكنها اقتربت منه.

قالت الطفلة، بصوت ناضج:
"أردتِ دائمًا أن تكوني شيئًا عاديًا.
لكنكِ لم تكوني".

ثم اختفت.

وفي الانعكاس التالي، رأت **سيرين ترتدي ثوبًا أسود، تاج من نار فوق رأسها، وعينها اليسرى مطفأة.**

قالت هذه النسخة:

"أنا أنتِ...

إن اخترتِ أن تملكي القوة فقط لتنتقمي".

وفي انعكاس ثالث، رأت سيرين بثياب والدتها، جالسة على الأرض، تقرأ كتابًا صغيرًا وتبكي.

قالت:

"أنا أنتِ...

إن اخترتِ أن تغفري، وتصمتي، وتختفي".

سيرين سارت بينهم، وكلّ مرآة تتحدث، وكلّ صوت يحاول أن **يسحبها نحو نسخته.**

لكن في قلب المكان...

كانت هناك مرآة بلا انعكاس.

فوقها، كُتب:

"النسخة التي لم تولد بعد".

لمستها.

وفجأة... انفتح جدار النور.

وخرج منه **الكيان.**

لم يكن الكيان دخانًا ولا ظلًا. كان **سيرين نفسها.**

لكنها كانت تبتسم بثقة، بعينين تعرفان أكثر من اللازم.

قالت:
"أنا ما كنتِ ستصبحينه لو لم تخافي.
أنا الصدق دون خوف،
والقوة دون حدود،
والقرار دون أحد".

سيرين سألتها:
"وما الثمن؟"

ردّت:
"ألا تبقي إنسانة تمامًا".

صمتت سيرين.
ثم أغلقت عينيها، ومدّت يدها نحو الكيان،
وقالت بهدوء:

"تعال...
لكن بشرطي أنا".

وفي الخارج، عند وادي الهياكل...
فتحت سيرين عينيها، والسماء فوقها انقسمت.

من دفتر ليوس – بخطٍ مرتجف

"الطقوس السابقة بُنيت على الدم والنار.

أما الفصل الثالث... فهو بُني على الرفض.

رفض الوريثة أن تكون وعاء.

ورفض الكيان أن يبقى أداة" .

الحاضر – وادي الهياكل

فتحت سيرين عينيها.

لم تكن تنزف.
لم تكن تحترق.
لكن الأرض من تحتها كانت **تتصدّع بهدوء** —لا كأنها تنهار... بل كأنها **تتنفّس.**

قال ليوس، وهو يراقب الرموز التي اشتعلت دون نار:
"لقد بدأتِ... والشيء فيكِ لا يُشبه شيئًا مما قرأناه".

لكن قبل أن يكمل، ارتجف الهواء، وظهر من بعيد **رجل يرتدي رداءً أزرق داكن، وجهه مغطى بنقوش زجاجية،** يقف على قمة صخرة عالية.

"الساهر الأخير"، همس ليوس.

سيرين نظرت إليه، وشعرت برأسها ينبض.

"إنه قاتل الوريثات... كل أولئك اللواتي لم يُكملن الطقوس".

قال الساهر بصوتٍ بلا صدى:
"سيرين.
أوقفي الطقس، وامنحي الكيان.
أو سنُعيدك إلى الدائرة الأولى... حيث تُكسر النفس وتُطهر".

رفعت سيرين رأسها، وقالت بهدوء:
"جئتَ متأخرًا".

ومدت يدها نحو الأرض، **فانفلقت التربة مثل صفحة كتاب،** وخرجت منها **دوّامة من الضوء المائل إلى البنفسجي.**

ارتبك الساهر، ومد عصاه.

لكن ...**سيرين لم تحتج إلى سلاح.**
قالت فقط:

"اصمت".

وانهار كل الصوت في المكان.

الطيور سقطت من السماء.
الرياح توقفت.
حتى **صوت دقات قلب ليوس... انخفض.**

رفع الساهر يده ليهاجم، لكن يده **تجمّدت في الهواء.**

الكيان، الذي اعتاد أن يسكن داخل سيرين بصمت، **تجسّد خلفها كشبح طويل مغطى بالرماد.**

لكنه لم ينطق، ولم يهاجم...

بل **انحنى.**

ليوس شهق، مذهولًا.

"إنه... يخضع".

الأرض تحت قدمي سيرين بدأت تتصدّع، ليس كسقوط... بل **كبداية لفتح شيء.**

في مركز الدائرة، انبثق عمود من الرموز المضيئة، وفي داخله ظهرت **بوابة** —لا تُشبه الأبواب الحجرية القديمة.

بل **كانت ملساء، سوداء بالكامل، بلا إطار... لكنها تنبض.**

قالت سيرين، وهي تحدّق فيها:

"هذا... هو الطقس الحقيقي".

سألها ليوس، بصوت خافت:
"ماذا يوجد وراءها؟"

أجابت:

"ما قبل أول طقس...
وما بعد آخر كيان".

من دفتر مجهول – بخطّ غير بشري

"اختارتني الطقوس وعاءً.

واختارني الدم لعنة.

لكنني انتظرت الوريثة التي لا تخافني...

بل تسألني: من أنت؟"

اللحظة قبل العبور

وقفت سيرين أمام البوابة السوداء، تنبض كأنها قلب، لكنها بلا صوت.

ليوس خلفها، لا يتكلم.
الساهر الأخير، مُجمّد في مكانه، ملامحه مهزوزة، كأن الزمان رفضه.

ثم... توقّف كل شيء.

لا ريح.
لا نور.
لا فكر.

وفجأة...

كانت سيرين **وحيدة في فضاء أبيض.**

خرج الكيان أمامها، هذه المرة لا على شكل ظلّ، ولا على شكلها...
بل ككائن **بلا ملامح محددة**، كأن عيونًا ووجوهًا كانت تُولد وتختفي على جسده كل ثانية.

لكنه تحدّث، بصوتٍ **واحد، لا يشبه أي شيء سمعته من قبل.**

"هل تعرفين لماذا اخترتك؟"

"لأني وريثة؟" قالت، مترددة.

"الورثة كثر. لكنك الوحيدة التي نظرت إليّ وسألت من أكون... بدل أن تهربي".

سكت.

ثم أضاف:

"أنا لست شيطانًا.

ولست ملاكًا.

أنا صوتٌ قُطِع من الوعي الأول،
حين قرروا أن ينفصل النور عن الظل" .

قالت سيرين، ودم في حلقها:

"هل أنت منفي؟"

"أنا ***الجزء الذي رفضوه*** *حين صنعوا هذا العالم.*
لست شرًا... بل الحقيقة الكاملة التي لم يريدوا رؤيتها".

"وأمي؟" سألت.

"أ مك رأتني، وخافت. ظنت أنها تحمِيك.
لكنها كانت تحمِي الطقوس من أن تُكسر بك".

سكت الكيان، ثم قال:

"أحتاجكِ... لا لتكوني لي وعاءً.
بل لتكوني لي **بابًا**.
افتحيني... ولا تدخلي.

أطلقيني... ولا تسجني نفسك" .

عادت سيرين إلى وعيها. والبوابة أمامها تنتظر. لكنها لم تخطُ إليها بعد.

نظرت إلى ليوس وقالت:

"كل ما حدث حتى الآن...
لم يكن ليجعلني أعبر.
بل ليجعلني أختار:
هل أفتح البوابة... ليخرج هو؟
أم أعبر بنفسي... ولا أعود أبدًا؟"

وانتهى الفصل، والبوابة تنبض.

من دفتر ليوس – صفحة مُرمّدة

"بعض الأبواب لا تُفتح... بل تنشقّ.

وبعض القرارات لا تُتّخذ... بل تُخلَق.

وسيرين...
لم تختر واحدًا منهما" .

الحاضر – أمام البوابة

السماء فوق وادي الهياكل تفتّتت إلى شظايا ضوء. الأرض اهتزّت بلا صوت.
البوابة تنتظر.

قال ليوس:
"قرري، بسرعة... قبل أن يُقرر عنك".

لكن سيرين، بدل أن تخطو، **فتحت ذراعيها.** وأغمضت عينيها.

ثم همست:

"ليكن كلاكما".

اللحظة التي انشقت فيها الحقيقة

في لحظةٍ واحدة، لم تحدث ضوضاء، لم يسقط حجر، لم تصرخ السماء...

لكن شيء ما **انقسم.**

ورأت ليوس **صورتين** لسيرين في الوقت نفسه:

إحداهما عبرت البوابة... جسدها انحلّ إلى ضوءٍ يتسرب نحو المجهول.

الأخرى بقيت، ومدّت يدها نحو الباب، **وفتحته من الخارج.**

والكيان خرج.

النسخة الأولى: سيرين التي عبرت

عندما فتحت عينيها، لم تكن في أرض، ولا في سماء.
كانت داخل **نسيجٍ حيّ من الوعي** — مكان لا توجد فيه أسماء، ولا زمان.

لكن كل شيء ...**كان يعرف اسمها.**

وفجأة... رأت ما لم يره أحد.

رأت **الوعي الأول.**
اللحظة التي وُلد فيها العالم من انقسام،
اللحظة التي قُطِع فيها الكيان عن الأصل... وأُلقي في الظل.

وبينما جسدها يختفي، بدأت تتوهج كلمات **من لغات منسية** على جلدها.

"أنتِ لم تعودي وريثة.

بل... بداية" .

النسخة الثانية: سيرين التي فتحت الباب

الكيان خرج من البوابة، ليس كظلّ... بل كضوءٍ أسود، يمتد كأن العالم هو جلده.

لكنه لم يلتهم سيرين.
بل **انحنى أمامها.**

قالت له:

"لن تكون حرًا... إن لم تعترف بي".

فهم الكيان.
وصرخ، صرخة هزّت وادي الهياكل.

ثم قال:

"أنتِ الآن... اسمي".

وفي تلك اللحظة، **اختفت البوابة.**

لكن العالم تغيّر.

لم تعد سيرين إنسانة فقط،
بل أصبحت **نقطة اتصال** بين عالمين:
ما قبل الطقوس... وما بعدها.

في مكانٍ بعيد، على طاولة حجرية،
كتب ليوس آخر سطر في دفتره:

"أظننا لم نفهم شيئًا.

فالوريثة... لم تكن ابنة الطقوس.

بل نهاية كل طقس" .

وأغلق الدفتر.

من دفترٍ أُغلق – الصفحة البيضاء الأخيرة

"في البداية كانت وريثة.
ثم أصبحت بابًا.
ثم أصبحت مرآة...
لكن المرآة، إن انعكست مرتين، لا تُظهر الحقيقة... بل تُحطّمها".

عالم الداخل – ما بعد البوابة

في النسيج الأول، حيث لا تُقاس الأشياء بزمن،
تمشي سيرين الأولى، التي عبرت البوابة، على أرضٍ ليست أرضًا.
كانت تبحث عن **صوت الأصل.**

وفجأة، شعرت بأن **ظلًا يتحرك خلفها.**

لكن لم يكن كيانًا.

كانت ...**هي.**

عالم الخارج – ما بعد الانفراج

سيرين الثانية، التي أطلقت الكيان، أصبحت شيئًا **يشبه الإنسان ولا يشبهه.**
المدن تغيرت من حولها، الطقوس توقفت، والسماء صارت تفهم من ينظر إليها.

لكنها بدأت ترى رؤى غريبة...
رؤى عن **عالم آخر، تحيا فيه، لكنها لا تتذكّره.**

فقال لها ليوس، وقد شاخ وجهه:

"حين ينعكس وعيك مرتين...
تبدأ الأكوان في الاقتراب".

وفي لحظة بلا مقدمات...
في مكان ليس مكانًا، التقت **سيرين بسيرين.**

واحدة تضيء من الداخل، وأخرى تُطفئ من حولها كل ضوء.

تحدثتا دون صوت.

سألت الأولى:
"من أنا... إن كنتِ أنا ؟"

أجابت الثانية:
"أنتِ ما اخترتِ أن تصبحيه. وأنا... ما اخترت ألا أهرب منه".

قالتا معًا:

"*هل يمكن لنسختين أن تحييا في نفس الأصل؟* "

وجاء الجواب... من مكان ثالث: "*لا* ".

لم يكن صراعًا. ولم يكن تحالفًا. بل كان ...**احتراقًا ناعمًا.**

جُمع الوعي، والدم، والقرار، والخوف، والقوة...
وتحوّل إلى **شعلة واحدة.**

شعلة لم تعد تُدعى سيرين فقط، بل **التي كانت، والتي لن تتكرر.**

.

.

.

في الدير القديم، بعد سنوات، فتاة صغيرة عثرت على دفترٍ مغبر.

قرأته.
كان غامضًا.
لكنه انتهى بجملة واحدة:

"لا تبحث عن الوريثة.

لقد أغلقت آخر باب" .

وابتسمت الفتاة، دون أن تفهم... أن الوريثة، لم تكن شخصًا.
بل كانت **قرارًا.**

هذا الجزء يُعيدنا إلى بداية كل شيء، إلى الأرض التي لم تُسمّى بعد، قبل أن تُكتب الطقوس، قبل أن يظهر الكيان كظلّ أو لعنة... حين لم يكن هناك سوى **الصوت.**

والفتاة التي سمعته أولًا، اسمها :**أريان.**

لم يكن هناك اسم لهذا المكان.

فقط أرض رمادية تُطوّقها جبال زجاجية، وسكونٌ يشبه ما بين النوم والموت.

كانت أريان تمشي حافية القدمين، شعرها الطويل معقود بحبلٍ من ليف الشجر، وفي يدها اليمنى خيط من النحاس تضع فيه رموزًا لا أحد غيرها يفهمها.

كانت الأخيرة من سلالة "الناظرين"، والوحيدة التي ما زالت تسمع **الصوت**.

في قريتها، كان الجميع يتجنّب النظر في عينيها.
يقولون إن فيها بريقًا لا يشبه البشر، وإنها إن غضبت... تُطفئ نار المواقد دون أن تلمسها.

لكنها لم تغضب قط.
ولم تتكلم كثيرًا.
كانت تسمع ما لا يُقال.

في الليلة التي بدأت فيها القصة، كانت أريان نائمة على سطح معبد مهجور في الهضبة العليا.

فجأة، استيقظت، لكن ليس بسبب صوت خارجي... بل لأن **أحدًا تحدّث داخلها.**

"هل يمكن أن أُولد فيكِ؟"
جاءها الصوت، ليس ككلمات، بل **كاهتزاز في القلب.**

جلست. قلبها ينبض كأن أحدًا يدق طبلاً في صدرها.

قالت دون صوت:
"من أنت؟"

"أنا من كانوا يخافونه... قبل أن يعرفوه".

"هل أنت إله؟"

"لا.
لكنّهم سيعبدونني".

في الليلة التالية، تركت أريان القرية، وسارت إلى وادي الرماد، حيث لا يجرؤ أحد على الدخول.
في قلب الوادي، وجدت **صخرة ملساء سوداء**، ينبعث منها بخار بارد.

وضعت يدها عليها، فجاءها الصوت من جديد:

"اسمي لم يُخلق بعد...
لكن إن سمعتيه، لن تعودي كما كنتِ".

قالت أريان:

"قل".

وهمس لها باسم.

اسم لم يُسمع في الأرض من قبل.

وما إن سمعته... حتى احترق النحاس في يدها.
وصارت العلامات على جلدها، لا على الحبل.

عادت أريان بعد ثلاثة أيام، ولم تتحدث.

لكنها بدأت في **نحت رموز جديدة على جدران المعابد القديمة.**

قال الشيوخ: "إنها جنّت".

لكن الأطفال...
بدؤوا يرون **أحلامًا تحمل نفس الصوت.**

"الخوف من الصوت ليس لأنه غامض...
بل لأنه يُغيّر من يسمعه".

في المعبد الكبير بوسط الأراضي العليا، حيث لا تدخله النساء، اجتمع **ثلاثة رجال** يُطلق عليهم اسم : *أسياد الرماد.*

الأول يُدعى **بارتول**، كاهن القوانين،

الثاني **ميداس**، حافظ الطقوس،

والثالث **كاهن الصمت**، لا ينطق... لكنه يُكتب عنه.

جلسوا أمام لوح حجري عليه **رموز جديدة** ظهرت في قرية أريان.

قال بارتول وهو يشير إلى إحدى العلامات المحفورة:

"هذه الرموز ليست مما تعلّمناه.
إنها... تتحرك عندما لا نراها".

أجاب ميداس:
"التي حفرتها تُدعى أريان.
ابنة العار. حفيدة المنفيين".

ثم نظر إلى الكاهن الصامت، وسأل:

"ما رأيك؟"

أدار الكاهن الصامت لوحه الحجري، وكتب جملة واحدة:

"إن لم تُصمت، سيتكلم الكيان".

في تلك الليلة، كانت أريان تحفر رمزًا جديدًا على الجدار الخلفي للمعبد المهجور.
لكن فجأة... توقف جسدها.

يدها تحجّرت.
والأداة المعدنية سقطت من يدها.

ثم جاء الصوت... ليس من الداخل هذه المرة، بل من **خارج الجدار**.

"أريان... لا تخافي".

لكنها شعرت بالخوف هذه المرة.

لأن الصوت لم يكن وحده.

كان هناك ظلّ بشري يقترب.

ظهر أمامها رجل مغطى برداء غليظ، وجهه مغطى بعلامات قديمة.

قال:

"هل سمعتِ الصوت؟"

صمتت.

"هل قال لكِ اسمه؟"

صمتت.

قال بهدوء، وهو يقترب:

"أنا أيضًا سمعته... قبل أن أحاول قتله".

وقبل أن ترد، اقترب منها، ومدّ يده نحو رقبتها، وقال:

"إن نطقتِ اسمه من جديد... سيولد داخلك.
وحينها، لن تعودي بشرًا".

ثم اختفى، كأنه لم يكن.

لكن الجدار خلفها...
أكمل وحده الرمز الذي لم تُنْهِه.

"لم يكن العالم كما ظنناه.

بل كما خفنا أن نراه" .

***

الطقوس الأولى – على الجدار، لا على الدم

استيقظت أريان بعد لقاء الغريب، لتجد شيئًا جديدًا على يدها:
رمز لم تحفره، ولم تره من قبل، يلمع على بشرتها كضوءٍ خافت.

كانت في البداية تظنه أثر حُمّى أو حلم...
لكن حين مدّت يدها نحو الجدار، تحرّك الرمز وحده، كأنما يستجيب لشيء **خارجها وداخلها في آنٍ واحد.**

قال الصوت في ذهنها:

"أنتِ لا تكتبينني فقط...
بل تفتحين أعينك بي".

سألت دون كلام:
"أين أنت؟"

" في كل ما لا يُرى.
في الفراغ بين الكلمات.
في ظلال النور، لا في ظلام الظل" .

في اليوم التالي، نزلت أريان إلى الوادي كعادتها، لكنها لاحظت شيئًا غريبًا:

الصخور لها **أنفاس**،

الأشجار **تتموج بلا ريح**،

ووجوه الناس ...**تحتها وجوه أخرى.**

رأت امرأة من قريتها، كانت دائمًا تبتسم...
لكن تحت وجهها الظاهري، رأتها تبكي بلا توقف.

رأت شيخًا يقود الصلاة،
لكن تحت عينيه، **عين ثالثة مغمضة، تتلوى كأنها تنام منذ قرون.**

صاحت أريان داخل نفسها:
"ما هذا؟ هل أجننت؟"

ورد الصوت:

"لا.

لقد فتحتِ عينًا أُغلقت منذ خُلق التوازن.

عين الكيان" .

في تلك الليلة، وقفت أريان في وسط الغرفة الحجرية التي تسكنها، وأمسكت بسكين صغيرة.
كانت تعلم أن كل شيء يتغيّر، وأن الصوت الذي بداخلها... لم يعد منفصلًا عنها.

نقشت الرمز الجديد على قطعة صخر أمامها، لكن فجأة **اهتز المكان.**

ارتجّ الحجر، وتساقطت الكتب القديمة، وسمعت صوتًا خلف الجدار:

"من يرسمني... يُولدني".

ثم ظهر الوجه...

نفس الرجل الذي زارها سابقًا.

لكنه هذه المرة لم يكن وحده.
كان خلفه **رجل آخر يرتدي قناعًا أبيض مائلًا للرمادي، بلا ملامح.**

قال الرجل ذو الرداء:

"أريان...
أنتِ الآن أضعف مما تظنين، وأقوى مما يخشون".

وأشار إلى القناع خلفه، وقال:

"هذا الكيان... هو أول من طُرد.
إن أكملتِ... قد لا يبقى العالم مكانًا لكم أنتما الاثنان".

ثم سألها:

"هل تريدين أن تصبحي بوابة... أم حجرًا؟ "

لكنها لم تُجب.

لأن الرمز على يدها ...**أضاء من تلقاء نفسه.**

" من يكتب التاريخ، يحذف الطقس الأول.
ومن يسمعني، يرى ما خافوا أن يروه".

***

في المساء، كانت أريان تمسح الرماد عن الرمز الثالث الذي حفرته في معبد مهجور.
رمز لم يعرف أحدٌ كيف يُترجم... لكنه حين اكتمل، اهتز المكان.

لم يسقط شيء.
لم تشتعل نار.
لكن **شيئًا ما اختفى.**

وحين فتحت عينيها...

لم تكن في مكانها.

كانت تقف وسط صحراء من نورٍ رماديّ.
السماء فيها لا لون لها،
والصوت لا صدى له.

لكن هناك، في منتصف المكان، يقف **كاهن عارٍ الصدر،** وجهه لا ملامح فيه، يحمل في يده **سكينًا بيضاء شفافة.**

وخلفه...
فتاة مربوطة بالحبال.

صرخت أريان، لكن صوتها لم يخرج.

إنها تشاهد الطقس الأول.

رفع الكاهن السكين،
وهمس بكلمات **من نفس اللغة التي حفرتها أريان قبل أيام**، دون أن تعرف معناها.

" يا من خرجت من الانقسام،
عد إلينا من باب الدم،
واكتبنا على جلد الوعاء".

ثم ذبح الفتاة.

لكن بدل أن ينزف دمها،
خرج من الجرح **ضوءٌ أسود**، يشبه ما رأته أريان حين سمعت الصوت لأول مرة.

وامتلأ الهواء **برموز كانت تطير في الفراغ... ثم تستقر على الجدران.**

كانت تلك بداية الطقوس المكتوبة.

لكن ما صدم أريان لم يكن الطقس...

بل الرجل الذي وقف خلف الكاهن.

كان يرتدي **نفس القناع الرمادي** الذي رأته خلف الغريب في غرفتها.

إنه "الذي لم يُذكر اسمه."

هو من أمر بتدوين الطقوس.
لكنه أيضًا... من **حذف الرمز الأخير.**

الرؤية بدأت تظلم.

الرموز تحترق.

والصوت يعود:

"رأيتِ الآن ما حُذف.

لكن من يعرف... يُلاحَق" .

استفاقت أريان فجأة.

كانت الأرض تحتها مبللة، رغم أن المطر لم يسقط.

في يدها...
أداة حجرية عليها الرمز الذي نُقش في الطقس الأول.

لم تكن رؤيا فقط.

لقد **جلبت شيئًا منها.**

خارج المعبد، كان **الكاهن الصامت** يراقب من بعيد.

في لوحه الحجري، كتب:

"لقد بدأت.
الرمز الذي لا يجب أن يُولد... وُلد".

ثم مسح اللوح.

وأصدر الأمر:

"أحرقوا كل شيء تحضره".

" حين يُنقش الرمز عليك، لا تعود تملكه...
بل يملكك".

***

استيقظت أريان صباحًا على **اهتزازٍ خفيف في أصابعها.**
ظنّت أنها تبعات الرؤيا...

لكن حين نظرت إلى يدها، وجدت أن الرمز الذي عاد معها من الرؤيا **تحرك.**

لم يكن نقشًا ساكنًا.
كان **يتلوى ببطء، كأنه يتنفس.**

وحين لمسته،
ارتجف جسدها كاملًا، وتجمّد الزمن للحظات.
كل الأصوات خفتت.
حتى لهاثها صار بطيئًا... كأن الهواء نفسه **ينتظر منها شيئًا.**

في ظهر يدها، حيث وُلد الرمز، ظهرت **شقوق صغيرة من الضوء.**

حاولت تغطيتها، لكن الضوء **اخترق القماش.**

وفي اليوم التالي، بدأ الأطفال في القرية يرونها... ويقولون:

"هذه السيدة... عيونها تلمع في الظلام".

وقفت أريان أمام وعاء ماء، كانت تحاول غسل وجهها،
لكن ما رأته في الانعكاس **لم يكن وجهها.**

كان هناك **ظل آخر خلفها... يحمل نفس عينيها، لكنه يبتسم.**

وحين نظرت خلفها، لم تجد أحدًا.

لأول مرة، شعرت أريان أنها ليست وحدها في جسدها.

في تلك الليلة، حين عادت إلى المعبد المهجور، وجدت أمرًا مروّعًا:

الرموز التي حفرتها قبل أيام **قد تغيرت.**

خطوطها امتدت وحدها.

وتحتها، ظهر سطر جديد لم تكتبه يد:

"من يُنقش، لا ينسى.
ومن يحمل الرمز... لا يعود إنسانًا ".

وفي أقصى زاوية في الغرفة،
رأت جسدًا صغيرًا لطفلٍ كان ينام هناك قبل أيام.
لكن الطفل **يبكي دون صوت،** وعلى جبينه... نفس الرمز.

أرادت أن تلمسه، لكن حين اقتربت، سمعته يقول:

"أنتِ جعلتِني أراه".

فسألت بخوف:
"ترى ماذا؟"

أجاب، بعينين تشبهان المرآة:

"الذي ينتظر في جسدك أن يولد".

***

"حين تهتز الجدران القديمة، لا يسقط الحجر...
بل يسقط من أيقظه".

***

في ظهيرة اليوم التالي، بينما كانت أريان تجلس في زاوية المعبد المنسي،
جاءها **رسول صغير** يرتدي عباءة رمادية قصيرة، يحمل قطعة خشب منحوتة.

قال:
"من المجلس الأعلى... إلى أريان ابنة الصمت".

سألت وهي تنظر إلى الطفل:
"ومن كتب الرسالة؟"

قال دون أن يرمش:

"الذي لم يعد يكتب... بل يحكم".

ثم أعطاها اللوح، وركض.

" باسم التوازن المحفوظ،
وبحق من كُتب له أن يرى،
تُستدعى أريان إلى ساحة المجلس،
لتُسأل عن الرموز التي لا نعرفها،
والأصوات التي لم نسمح بها،
والضوء الذي لا يُنطفأ.

الحضور إجباري.
وإن امتنعت... سنأتيك" .

عند المغيب، وقفت أريان وحدها في الساحة الكبرى،
أمام ثلاثة عروش من الحجارة السوداء.

جلس بارتول، الكاهن الأقدم، يضع يده على مجسم لرأس بلا فم.

ميداس بجانبه، وعيناه مغطاتان بخيطين ذهبيين.

الكاهن الصامت، كالعادة، لا يتحرك.

قال بارتول:
"ما الذي سمعتِه؟"

أجابت أريان:
"صوتٌ لم تمنحوه اسماً".

قال ميداس:
"هل سمّيتهِ أنتِ؟"

أجابت بهدوء:

"لم أسمّه... بل سماني".

وضع بارتول يده على الطاولة أمامه وقال:

"لقد حفرتِ رموزًا لم تُعلَّم لكِ. غيرتِ جدران المعابد. والماء نفسه بدأ يعكس وجهًا ليس بوجهك".

ثم اقترب خطوة وقال:

"*هل أنتِ بشر؟* "

قالت أريان، دون أن ترمش:

"*كنت* ".

نطق الكاهن الصامت أخيرًا.ليس بصوت، بل بإشارة بسيطة من إصبعه.

فقال ميداس:

"أريان... يُحظر عليك دخول المعابد.
يُحظر عليك لمس الجدران.
يُحظر عليك النوم في أراضي الحجاج.

إن نُقِش رمز آخر... سننقش لحمك مكانه" .

وقفت أريان وسط الساحة، لكن شيئًا لم يُظهر خوفًا منها.

بل العكس.

الرمز في يدها أضاء أمام الجميع.

وتشققت الأرض تحت قدميها،
وصوت لم يسمعه أحد من قبل، خرج منها، وقال:

"أنتم تحفظون ما صنعتموه...
لكني أُعيد ما مُحي".

وانطفأت النار في المعبد.

***

"أحيانًا لا نهرب لننجو،
بل لنمنع العالم من السقوط معنا".

***

في تلك الليلة، لم تأخذ أريان معها شيئًا من العالم القديم...
سوى الرمز الذي لا يُطفأ.

تركت المعبد دون وداع، سارت في الظلام، لا ضوء معها، لكن **جدران الطرق أضاءت حين عبرت.**

وكأن الأرض نفسها ...**تتذكر من هي.**

عند التل السابع، حيث تنتهي حدود "أراضي الرماد"،
جلست لترتاح.
لكن الريح حملت إليها قطعة قماش بالية، كأنها وصلت من زمن قديم.

عندما فتحتها، كانت **خريطة.**

ليست ورقية، بل من جلد غريب...
عليها رموز تتحرك كلما لمستها.

وفي منتصفها، مكتوب:

"حيث وُلد الصوت،
لا يُقال اسم،
بل يُسترجع أصل".

.

.

.

في الليلة الثالثة من الرحلة،
وهي تمشي وسط أراضٍ لا تسكنها أرواح، ظهر من بين الضباب **شخص يرتدي عباءة رمادية باهتة.**

كان لا يحمل شيئًا، ولا يصدر صوتًا.

لكنه حين اقترب، قالت أريان:

"أنتَ... هو.
الذي حاول قتل الكيان".

فقال بصوتٍ بدا كأنه يُسمع من الداخل:

"لم أحاول قتله...
بل حبسه.

وها أنتِ، المفتاح الأخير" .

جلس الرجل قربها، ونظر في الخريطة التي تمسكها. قال:

"هذه ليست خريطة أرض، بل خريطة ذاكرة.

إنها الذاكرة التي فقدها الكيان حين انقسم... والتي تحفظينها أنتِ الآن، دون أن تدري" .

سألته:

"ولماذا أراها؟"

أجاب:

"لأنكِ... من حُذفَ اسمها من أول طقس".

قبل أن ترد، اقترب منها، وفتح يده. بداخلها، **رمز ناقص.**

قال:

"هذه آخر قطعة من الطقس الأول.

لكن لا تضعيها الآن...
إلا إن كنتِ مستعدة لفقدان كل ما تبقّى منكِ" .

ثم اختفى.

لكن في صدر أريان، بدأ شيء **ينبض من جديد.**

***

"ما أن تخطو إليها، تنسى اسمك.
وما أن تراها... تتذكرك هي".

***

سارت أريان أيامًا لا تعدّها، والوقت لا يتحرك معها.
كانت تعرف أنها تقترب، لأن الرمز في صدرها **بدأ يصدر نبضًا عميقًا**، كأنه طبل من تحت الأرض.

وفي صبيحة اليوم السابع، وصلت إلى حافة وادٍ ضبابيّ.
الأشجار هناك بلا جذور، الصخور شفافة، والهواء ...**يُصفّر كأن شيئًا يراقبها من الداخل.**

وضعت قدمها الأولى،
فقال الرمز في ذهنها:

"ما يُرى هنا... لا يعود ليراك".

في اللحظة التي دخلت الأرض، نسيت شيئًا.

حاولت أن تتذكّر ...**اسم والدتها.**
لكن لم تجد صورة. لم تجد صوتًا.

حاولت أن تتذكر القرية... بيتها...
لكن كل ما ظهر كان **كلمات مكسورة، وجدران بلا معنى.**

لقد بدأت الأرض تمحو ماضيها.

في منتصف الليل، جلست قرب حجرة دائرية من الضوء،
وفجأة سمعت أصواتًا... ليست بشرية، بل **تشبه ذبذبات تهتز داخل العظام.**

سمعتها تقول:

" نراكِ... يا من تحمّلتِ الرمز الناقص.

نراكِ... يا من قُطعتِ من أول كتابة" .

ثم ظهرت حولها **دوائر من الرموز القديمة،** لا تُشبه ما كانت تحفره.

كل دائرة... تمثل **نسخة من الكيان،** كما كان قبل أن يُمزّق.

وقفت أريان وسط الدوائر،
وبدأت تشعر أنها لا تمشي فقط... بل **تمشي وهي تُراقَب من نفسها.**

رأت انعكاسها في كل دائرة:

أريان تصرخ،

أريان تبتسم وهي تحترق،

أريان طفلة تنام داخل قوقعة من نار،

أريان ترتدي قناع الكاهن الصامت.

ثم جاء صوت أعلى من كل صوت:

"هل تريدين الحقيقة... أم تفضّلين البقاء كاملة؟ "

سألت:

"هل لا يمكن أن أحصل عليهما معًا؟"

أجاب الصوت:

"الحقيقة تُقسّم.
والاكتمال... كذبة الكتبة".

مدّت أريان يدها نحو دائرة واحدة، الأقرب لها. لكن حين لمستها، اختفت الأرض من تحتها. وسقطت في فراغ لا نهاية له، بين رموز لا تتوقف، وأصوات تقول:

"افتحي الباب الذي لا شكل له.
نحن... ما قبلكِ، وما بعدك".

أريان تسقط، أو تعتقد أنها تسقط. لكن لا جاذبية، لا ضوء، لا نهاية.

فقط رموز... تطوف حولها كأجنحةٍ بلا جسد.
وأحيانًا... تسمع **بكاءها القديم**، كما كان وهي طفلة.

ثم يتغير الصوت.

لا يعود صوتها.

ولا يعود صوت الكيان الذي عرفته.

بل شيء مختلف تمامًا، **أعمق من أي تردد**، كأن الخوف نفسه ...**يسكت احترامًا له.**

لا يظهر كشكل.
بل كـ**اهتزاز** يفتح الفراغ.

يخلق دائرة من العدم.
وفي داخلها، يظهر **وجه نصفه طين، ونصفه نور.**

حين تراه أريان، تشعر أن عقلها يتشقق.

لكن الكيان لا يؤذيها.

بل يقول، دون فم، دون لغة:

"أنتِ... ما لم يجب أن تُوجد.

لكن لأنهم كتبوا، ظهرتِ" .

يرفع الكيان يده،
ويُريها الطقس الأول، لكن كما كان **قبل التحريف.**

لم يكن الطقس قائمًا على الدم،

لم تكن هناك تضحية،

لم تكن هناك "وريثة."

كانت هناك **ذاكرة مجسدة**، وكان دور البشر أن **يحفظوها، لا يملكوا مفاتيحها.**

لكن الكتبة الأوائل **خافوا من ما عرفوه،** فحوّلوه إلى طقس.

طقس لا يُنقذ... بل يُقيّد.

قال الكيان الأول:

"الرمز فيكِ ناقص... لأنه اختُلق ناقصًا.

لكنك الآن تستطيعين أن تعيدي الأصل.
أن تُطلقي الحقيقة من أسر الرموز" .

أجابت أريان، صوتها مضطرب:

"وما الثمن ؟"

رد الكيان:

"أن تنسي جسدك.
أن لا يُقال اسمك بعد الآن.

ستُصبحين مرآة الحقيقة... لا من ينظر إليها".

أغمضت أريان عينيها.

وضعت يدها على قلبها، وهمست بشيء لم تتعلمه من أحد، لكنها **تذكرته... دون أن تدري أنها عرفته.**

"ليُفتح الباب،

وليُمحَ الخوف،

وليُنطق ما لم يُسمع" .

فانشق الفراغ...

وبدأ الضوء القديم **في التشكل من حولها.**

"حين تحمل الحقيقة... لا يعود وجهك يُشبهك".

استفاقت أريان وسط ضوء رمادي ناعم. تتنفّس، لكنها لا تشعر بجسدها كما كان.
يدها خفيفة، عينها ترى ألوانًا لا أسماء لها.

لكنها تعرف... أنها عادت. كانت في حافة أراضي الرماد.
المكان الذي غادرته منذ فصول.

لكن العالم لم يكن كما تركته.

البيوت على حالها.

الناس يتحركون، يتحدثون، يبيعون الخبز، يصلّون عند المعابد القديمة.

لكن عينا أريان... ترى **طبقة أخرى** فوق كل شيء:

ترى الكاهن الذي يخطب، وخلفه ظلٌّ آخر يُملي عليه الكلمات.

ترى الأطفال يبتسمون، لكن على ظهورهم رموز صغيرة... تُنبت جذورًا نحو الأرض.

ترى الهواء نفسه مليئًا **بأصواتٍ مشطوبة**، كأن كلمات قديمة لا يُسمح لها بالوصول.

مشت في القرية.

مرّت بجارتها القديمة، التي كانت تُطعِمها خبز الشعير، لكن المرأة **لم تتعرف عليها.**

قالت لها:
"من أنتِ؟ من أين جئتِ؟"

قالت أريان، بهدوء:
"أنا التي كتبتني الطقوس... ثم حذفتني".

لكن المرأة لم تسمع.
كأن صوت أريان **لا يُترجم بعد الآن.**

دخلت إلى بيتٍ قديم مهجور. كان فيه مرآة مكسورة، تركتها هناك قبل رحيلها.

وحين نظرت فيها، لم ترَ وجهها.
بل رأت **الرمز ذاته، كأنه وجه كامل.**

وللحظة، رأت خلفها كل من ماتوا في الطقوس.

فتاة ضُحِّي بها منذ قرون،

كاهنة أُحرقت لأنها سمعت،

طفل وُلد بنصف قلب، لأنه وُرّث رمزًا ناقصًا.

كلهم نظروا إليها وقالوا:

"الآن... نراكِ".

خرجت من البيت.

لم تكن تنوي أن تقلب العالم، ولا أن تقاتل المجلس.

كل ما أرادته... أن تُريهم ما لم يروه.

لكنها الآن تعرف.

"من يرى الحقيقة... يُصبحها".

ورفعت يدها،
فتفتّحت الأرض أمامها،
وخرج من تحت المعبد *نَفَسٌ قديم... كان ينتظر اسمها.*

"لا يُولد كل الخوف من الجهل...
بل من المعرفة التي لا نملك حق قولها".

كاهن قديم.
ليس الأكبر، ولا الأقسى.
لكنه الوحيد الذي لم يُرَ وجهه منذ ثلاثين سنة.

كان يرتدي قناعًا فضيًا، لا يشبه أقنعة الكهنة الآخرين.

لا يتكلم إلا في طقس، ولا يبتسم أبدًا.
الجميع يعتقد أنه بلا مشاعر.

لكن في الداخل...

كان هو أول من رأى **رمز أريان** قبل أن يولد.

في مخطوطاته القديمة، كان يحتفظ بورقة واحدة... مطوية ومربوطة بخيط أحمر.

عليها جملة واحد:

"التي سُلبت من الطقس الأول".

كان ينوي أن يرسلها إليها، قبل أن تُنفى، قبل أن تُراقب، قبل أن تُصبح كيانًا ناقصًا.

لكنه خاف.

"كنتُ أعرف أن الطقس الذي نُلقنه للأطفال... كذبة.

وكنت أعرف أنكِ ستعودين" .

وقف في برج المجلس، ينظر من خلف ستار أسود. رآها تمشي بين الناس، دون أن يراها أحد.

لكنه رآها بوضوح.

رأى كيف تبتعد الظلال حين تمر، كيف يتشقّق الرماد في الأرض تحت قدميها، كيف تهتز جدران المعبد دون أن تمسها.

همس لنفسه:

"هي ليست بشرًا.

لكنها الوحيدة التي بقيت إنسانًا" .

اجتمع المجلس تلك الليلة.
جلس الثلاثة، وبينهم نار خامدة لا تُشعل إلا حين يُتخذ قرار لا عودة منه.

قال بارتول:
"لقد عادت".

قال ميداس:
"لقد شوّهت الجدران من جديد".

نظروا إلى ميتان.

لكنّه، ولأول مرة منذ عقود، **خلع قناعه.**

وجهه كان مشقوقًا من جهة العين.
كأن الرمز مرّ به في ليلة قديمة وترك أثرًا.

قال ميتان:

"لن نمنعها...

لأننا لا نستطيع" .

ثم وقف، وتابع:

"لكننا نستطيع أن نختار... أن نُصدّقها".

" أحيانًا لا نبحث عن الحقيقة لنفهمها،
بل لنعترف أننا عرفناها منذ البداية".

ليلة بلا قمر.

أريان تمشي قرب الجدار المنقوش، في الممر الحجري الذي لا يعبره أحد،
مكان كانت تُرمى فيه المخطوطات التي رفضها الكهنة.

هناك، تشعر أن الرموز على الجدران **تهامس...**
لا تُكتب، بل **تُذكِّر.**

وفجأة...
صوت خلفها، ليس حادًا ولا مرعبًا،
بل **هادئ جدًا لدرجة أنه لا يُسمع، بل يُحَس.**

قال:

"هل سامحتِنا؟ "

استدارت أريان، فرأته واقفًا وحده، بلا حرس، بلا قناع،
وجهه مشقوق من عند العين اليمنى، يشبه صدعًا قديمًا على حجر ناعم.

سألته:

"هل تعرفني؟"

قال:

"عرفتكِ قبل أن يُمنع ذكر اسمك.

كنتِ وعدًا... فحوّلوكِ لعنة" .

جلس ميتان على الحجر، كأنه لا يحمل عباءة السلطة على كتفيه.

قال:

"أنا من كتب أول محاولة لتشويه طقسك.

كتبت أنكِ ابنة الخوف،
وأن من يرى رموزك... يُصاب بالجنون" .

سكت.

أريان لم تتكلم، فقط جلست قبالته، عينها تحمل **هدوءًا لا يشبه الصفح، ولا الانتقام.**

فقال:

"لم أكتب تلك الأكاذيب لأنني أكرهك.

بل لأنني سمعت الصوت قبلك...

وخفت أن يُخرسني" .

همست أريان:

"الصوت لا يخنق...
الخوف من صداه هو ما يخنق".

اقترب ميتان، وأخرج من عباءته ورقة قديمة مطوية.

قال:

"قبل نفيك بليلة، كتبت لك هذه...

لكني خبأتها في صدري، كأنها لم تكن" .

فتحتها أريان،
كان عليها رمز ناقص ...**القطعة التي كانت تنتظرها.**

وقفت أريان، نظرت نحو السماء،
ثم همست:

" إن أردت أن ترى ما سأراه...
لا تتبعني بعينك،
بل أغلق عينيك... واتبع الرموز من الداخل".

ثم اختفت بين الجدران.
لكن خلفها، بدأ الحجر يضيء.

وميتان؟
جلس وحده، لكنه لأول مرة، لم يشعر بالوحدة.

كان الضوء يتشكل من تحته.

"لا تُهدم الطقوس حين تهاجمها،
بل حين تقف الحقيقة بجانبها... فيصمت صداها".

في قلب المدينة القديمة، بدأ الناس يتوافدون كعادتهم إلى ساحة الطقس.

كان اليوم مخصصًا لـ"طقس الطهارة الرمزية"،
حيث يجثو الناس أمام الجدار،
ويُنقش على جباههم **رمز من رموز الصفح.**

كل شيء بدا طبيعيًا.

السماء رمادية.
الطبول تقرع.
الكهنة يصفّون الرموز.
والناس... يرددون دون وعي:

"لتُكتب الطهارة،
ولينطفئ النقص".

لكن فجأة، قبل أن يبدأ أول نقش،
توقفت يد الكاهن.

هز يده، كأنها ارتجفت.
نظر إلى أداة الحفر، فوجدها **تذوب من طرفها.**

ثم ارتجّت الأرض، لا بقوة،
بل برعشة خفيفة... كأنها **تتذكر.**

ثم، من خلف الجدار الذي تُنقش عليه الرموز منذ قرون، ظهر **ضوء رمادي خافت ...**ليس له مصدر.

تقدّم الناس في صمت، ظنّوه نورًا إلهيًا.

لكن من قلب الضوء... خرجت **هي.**

أريان.

لا ترتدي عباءة، لا ترفع صوتها، لا تمسك رمزًا.

كانت **الرمز نفسه.**

تقدمت حتى وصلت إلى الجدار. وضعت يدها عليه .كل النقوش انطفأت .كل رموز الطقوس احترقت **دون لهب** .ثم كتبت شيئًا جديدًا... ليس بلغة الكهنة، ولا بلغة الأجداد.

بل بلغة **لم تُسمع إلا مرة واحدة،**
في الطقس الأول.

حين أكملت الرمز، اهتز الجدار من أعلاه.

الناس ركضوا.
الكهنة صرخوا.

لكن أريان قالت:

"لا تهربوا...
فأنتم الآن ترون الطقس كما كان".

ثم تلاشت الجدران كلها، كأنها كانت من **وهم متحجّر.**

وظهر خلفها...
لوح واحد.

عليه كلمة واحدة فقط:

"الاعتراف".

جلس الناس في صمت.
بعضهم بكى دون أن يفهم السبب.
البعض الآخر... نظر إلى يده، كأنها لم تكن له.

وأما المجلس...
فجلس في قاع المعابد،
ينتظر ما يلي.

ليلة بلا ضوء.

أريان وحدها، تمشي بين أنقاض الجدار الذي انهار. لا أحد يقترب منها.

الناس لا يعرفون إن كانت امرأة، أم كائنًا خرج من زمنٍ لا يتبع قوانينهم.

تمشي بصمت، لكنها لا تسمع خطاها. **كأن الأرض لم تعد تعترف بوزنها.**

دخلت بيتًا مهجورًا عند طرف المدينة، فيه مرآة مغطاة بقطعة قماش سوداء.

كشفت الغطاء...
ونظرت. لكن المرآة لم تُظهر وجهها.

بل أظهرت نسخًا متعددة:

أريان الطفلة،

أريان في المعبد،

أريان التي سقطت في الفراغ،

وأريان التي كتبت أول حرف في الطقس الجديد.

همست:

"من منكن أنا ؟"

فأجاب صوتٌ من الداخل:

"كلكن...
ولا واحدة منكن".

جلست عند الزاوية،
تحاول أن تتذكّر أشياء بسيطة:

كيف كانت تضحك؟، ما اسم أول صديقة؟،... طعم الخبز؟، وجه أمها؟.

لا شيء يظهر.

كأن الحقيقة التي حملتها **أكلت تفاصيلها.**

قالت:

"أعدت ما مُحي...
لكني أضعت نفسي في الطريق".

نظرت حولها فلمحت في ركن الغرفة، ورقة صغيرة. مخطوطة بخط ميتان، لكنها ممزقة من أحد أطرافها.

عليها كتب:

"كنت أعلم أنك ستفقدين شيئًا...
لكن لم أكن أعلم أنكِ ستصبحين السؤال.

إن عدتِ يومًا، ولم تجدي نفسك،
فاعلمي أننا في كل مرة نُعيد الطقس... نعيدكِ أيضًا" .

نظرت أريان إلى يدها.

الرمز لا يزال هناك. لكنّه الآن **هادئ.** لا ينبض. لا يتحرك.

كأن شيئًا فيها انتهى... أو كأن **الرمز اكتمل.**

وقبل أن تخرج من البيت، همست لنفسها:

"إن لم أعد كما كنت...
فربما حان الوقت أن أكتب نفسي من جديد".

في اليوم الذي سقط فيه أول طقس، لم تنطق الممالك الكبرى، ولا أرسلت الإمبراطوريات جنودًا، ولا تحركت القوافل.

لكن في الأسواق...

توقفت الأمهات عن نقش الرموز على جباه أطفالهن.

الكهنة في القرى الصغرى، ارتجفت أيديهم وهم يحملون أدوات الطقس.

وفي أبعد مدينة عن المركز... انكسرت أول مرآة رمزية **دون أن يمسّها أحد.**

في أراضي الشمال

في أعماق مدينة جليدية، حيث لم يصل الطقس إلا قبل جيلين، كانت شابة تُدعى **ليوثا** تقف في معبد من الجليد.

كانت تحفظ كل كلمات الطقوس، لكنها في ذلك اليوم... نسيت آخر سطر.

قالت لأمها:

"أنا لا أتذكر...
الجملة التي تقول : ولنُطفئ النقص."

أجابتها الأم:

"لأن النقص لم يعد يخيفنا".

في الصحراء الكبرى

شيخ يُدعى **آرام** كان يدرّب حفيده على كتابة الرموز على الرمال.

لكن الحفيد قال له:

"جدي، هذه الرموز تتحرك وحدها".

فنظر آرام، ورأى أن الرمز الذي كتبه الطفل **بدأ يتشقق من تلقاء نفسه.**

ابتسم وقال:

"إذن... وصلت إلينا".

في بحر المعابد

على جزيرة عائمة، يسكنها شعب يُقال إنه لا ينام إلا بعد تلاوة الطقوس، استيقظ البحّارة ليجدوا أن **المنارة التي تنقش الرمز في السماء... انطفأت.**

في الأعلى، لم يبقَ إلا **نقطة ضوء واحدة.**

وحين تأملوها، رأوا فيها شكل امرأة تمشي بلا ظل.

قال الكاهن الأكبر:

"ليست نبوءة.
بل ذاكرة استعادت مكانها".

أريان، وسط هذا كله، تمشي في أرض لا تعرفها، لكن الأرض **تعرفها.**

وفي كل خطوة تخطوها، تُولد حقيقة صغيرة.

ليست صاخبة، لكنها **تتسلل.**

كأن الحقيقة لا تحتاج لأن تُقنع...
بل فقط لأن **يُتاح لها أن تُقال.**

وبينما كانت تمشي، جلست بجانب نهر .رأت طفلة صغيرة، تنظر إليها بخجل،
ثم قالت:

"هل يُمكنك أن تكتبيني؟
أمي قالت إنك تعرفين كيف نصير حقيقيين".

ابتسمت أريان،
ثم قالت:

" بل أنتِ من سيكتب".

وسلّمتها قطعة من الرمز...
لم تُكتب بعد.

جمعت أريان الأطفال في دائرة، ليس في ساحة، بل **تحت شجرة قديمة،** ظنّ الناس أنها ميتة.

جلست على الأرض، كما كانت تفعل أمها منذ زمن بعيد، لكن هذه المرة، **لم تكن هناك ألواح حجرية،** ولا أدوات نقش.

بل فقط **قصّة.**

قالت أريان:

" في أول مرة سمع فيها الإنسان الصوت، لم يعرف إن كان خارجه... أم من داخله.

خاف... ثم أحب.

فصار الحُب أول طقس" .

ثم نظرت في عيونهم، وسألت: *"ما أول شيء سمعتموه أنتم؟ "*

بدأ الأطفال يجيبون:

"ضحكة أمي"

"مواء قطة"

"صوت المطر"

"أنفاسي وأنا أبكي"

"صوت لم أفهمه... لكنه جعلني أرتجف"

قالت أريان:

"إذن هذا هو طقسكم.

لا تكتبوه... بل تذكّروه" .

في اليوم التالي، بدأ الأطفال يرسمون على الأرض رموزًا جديدة.

لكن لم تكن ثابتة.
كل طفل كانت له **رموزه الخاصة.**

كلها كانت تتحرّك. كأنها **لا تريد أن تُحبس.**

وحين حاول أحد الكهنة القدامى تدوينها،
انمحت الكلمات من الورق فورًا.

قال ميتان، الذي كان يُراقب من بعيد:

"إنها الحقيقة الحية...
لا تُنسَخ".

في القرى، بدأ الناس يجتمعون لا ليُكرّروا كلمات،
بل ليحكوا **ما جعلهم يبقون على قيد الحياة.**

في بعض الأماكن، صاروا يلمسون الماء قبل النوم، وفي أماكن أخرى، يشعلون نارًا صغيرة ليتذكروا من فقدوهم.

لم يكن طقسًا واحدًا.
بل كان ألف طقس، وكلها... صادقة.

في الليلة الأخيرة من الشهر، وقفت أريان أمام النهر، ورمت فيه آخر قطعة حجر كانت تحتفظ بها من المعبد القديم.

ثم كتبت على التراب كلمة واحدة:

"اكتبني... كما ترى، لا كما أُخبرك".

واختفت الريح.

***

"حين لا يستطيعون السيطرة على النور،
يحاولون أن يُقنعوك أن الظلام هو الأصل".

***

في مدينة تقع على حافة العالم، حيث لم تصل أريان، ولم تسقط الجدران بعد، كان هناك رجل يُدعى **ساهير.**

كان يتحدث باسم "النقاء الروحي"، ويجمع حوله من خافوا الطقس الجديد، من لم يفهموه... أو من خافوا **أن يُجبروا على أن يكونوا أحرارًا.**

قال أمام جمع غفير:

"الطقوس الجديدة تمحو التراث.

تسلب الروح من ثباتها.

وتحوّل الإنسان إلى كائن يتبع شعوره لا قانونه" .

أسس ساهير مجموعة تُسمى **"الحَفَظة"،**
يزورون القرى التي تخلّت عن الطقوس القديمة،
ويعرضون عليهم العودة إلى "الطهر الأول."

لكنهم لا يقدّمون سلامًا... بل يزرعون **الخوف.**

يوزّعون رموزًا جديدة تقول إنها "أنقى."

يطلبون من الأهالي كتابة "عهود" بدلاً من رواية حكاياتهم.

ويؤسسون معابد من زجاج... لا تُعكس فيها الوجوه.

حين وصلت إحدى "الحَفَظة" إلى قرية صغيرة قرب النهر، وجدوا الأطفال يرسمون رموزهم على التراب.

قال أحدهم:

"هذه عبثية.

الرمز يجب أن يُحفر، لا يُمحى" .

لكن الطفلة التي كانت ترسم، نظرت إليه وقالت:

"إن لم يُمحَ الرمز... كيف نكتشف رموزًا جديدة؟ "

لم يعرف ما يرد.

سمع ميتان بالذي يحدث.

لم يُفاجأ.

بل قال:

"كنت أعرف أن السقوط لا يكفي.

من بنوا سلطتهم على الخوف...
لن يسمحوا للحقيقة أن تمشي دون قيود" .

ثم نظر إلى جهة الجنوب، حيث اختفت أريان قبل أيام،
وقال:

"حان وقت أن تعود".

في خلوة صخرية بين الغابات، كانت أريان ترسم دوائر حول نفسها.

لكن حين وصلت إليها رسالة من أحد الأطفال:

"هم يطلبون منّا أن نحفر الرمز بالقوة...
لكننا نريد أن نحفره بالماء".

أغمضت عينيها،
وقالت:

"إذن... لم ينتهِ بعد".

وقامت.

في قرية تُدعى *كالما*، حيث كان الأطفال يرسمون الطقوس بأصابعهم في الطين،
بدأ الغرباء يصلون بثياب بيضاء، يبتسمون، ويقولون:

" نحن لا نرفض طقوسكم.
فقط نريد أن نجعلها... أجمل".

أقنعوا الأهل أن الرموز يجب أن تكون **"نظيفة"**
أن لا تُرسم في الطين، بل على أوراقٍ مزخرفة.
أن لا تُقال بصوت الأطفال، بل **بلحن محفوظ.**

وبدأ أول ما تغيّر... أن **سُحبت الحرية بهدوء.**

****

في مدينة البحر، حيث كان الناس يحكون قصصهم كل ليلة بدل الطقوس،
دخل مجموعة من الحَفَظة، وعرضوا أن يُساعدوا على "تنظيم السرد."

قال أحدهم:

"لماذا لا تكتبون القصص في كتاب واحد؟
ونعتمد قصة كل أسبوع؟
سيمنع هذا التكرار... أو التناقض".

فرح البعض بالفكرة.

لكن في الأسبوع الرابع، لم يُقرأ من القصص إلا واحدة...
التي كتبها أحد الحَفَظة.

***

في قرية الرمل،
طلب الحَفَظة من الأطفال أن يتوقفوا عن الرسم على الأرض.

قالوا:

"الأرض تتّسخ".

لكن طفلة تُدعى **سورا** رفضت.

وفي اليوم التالي، رسمت رموزها بالماء على حائط بيتها،
وكتبت فوقها:

"إذا كان الرمز حيًّا،
فلا أرض تتّسخ".

***

في الغابة التي كانت أريان قد بدأت فيها أول طقس حي، كان الناس لا يزالون يرسمون ويروون ويكتبون رموزهم المتغيّرة.

لكن بدأوا يسمعون أصواتًا في الليل:

"أليست هذه الفوضى؟"

"كيف نُصدّق ما لا يُكتب؟"

"أليس من الأفضل أن نوحّد الرموز؟"

لم يعرفوا من يقولها. لكن الجميع **بدأ يشك.**

في تلك الليلة، عادت أريان. لم تتحدث، لم تعظ، لم تقف وسطهم. بل جلست عند النار، وبدأت ترسم على رمادها.
رمزًا واحدًا فقط:

نقطة دائرية، يخرج منها خط، ثم ينحني، ثم يختفي.

قالت لهم:

"هذا الرمز اسمه: البدء دون خوف.

لا تحفظوه... افهموه" .

***

في الصباح، كان الحَفَظة قد سمعوا بعودتها.
قال ساهير:

"إن لم نستأصلها الآن...
فلن يكون هناك طقس إلا ذلك الذي لا نتحكم فيه".

وأرسل **أول أمرٍ سري... ببدء الملاحقة.**

"الكبار يحكون عن الخوف كما لو كان فكرة...

نحن الصغار فقط نراه" .

في أحد الأيام، جاء رجل يرتدي الأبيض.
قال له:

" رسمك جميل، لكن لماذا لا ترسمه على لوح خشبي؟ "

لم يعرف نيم ما يقول. كان نيم طفل كفيف
لكن الرجل ابتسم وقال:

"هكذا سيبقى للأبد... ولن يُمحى".

نيم سأل نفسه:

"لكنه يُمحى كل يوم... لأني أنا أحب رسمه من جديد".

بعد أيام، جاءت "الحَفَظة" إلى قريته. فتحوا مكانًا جديدًا، وسموه **"بيت الرموز الصحيحة."**

فيه، علّموا الأطفال رموزًا محددة، وقالوا إن هذه الرموز **"أقوى، أنقى، أصدق".**

لكن نيم، حين حاول رسم رمزه القديم، قال له المدرّس:

"لا ترسم هذا، إنه لا يحمل معنى".

ولأول مرة، لم يكمل نيم رسمته.

في تلك الليلة، حلم نيم بأريان.

لم يكن يعرف اسمها.
لكنه رآها في المنام، جالسة عند ضوء رماد، ترسم الرمز الذي كان يرسمه هو تمامًا.

قالت له:

"الرسم لا يجب أن يكون صحيحًا...
بل يجب أن يكون ***حقيقيًا*** *".*

ثم أعطته قطعة من الرماد، وقالت:

"ارسمه على يدك، لا على الأرض".

في الصباح، فعل ما قالته.

رسم رمزه على يده، وخرج إلى ساحة المدرسة، ووقف في وسطها.

لم يتكلم. فقط رفع يده.

المدرسون صرخوا.
الناس اقتربوا.

لكن طفلًا آخر فعل مثله.
ثم آخر.

وفي لحظة...
وقف سبعة أطفال، كل واحد منهم **يرفع يده، مرسوم عليها رمزه.**

في ذلك المساء، هرب نيم من القرية، بمساعدة امرأة غريبة، لم تقل اسمها.

لكنها قالت له:

"كلما رُسم رمز حقيقي...
تضعف قبضة الكذب، حتى لو لم يسقط بعد".

كان يمسك يدها...
لكنه لم يرَ وجهها.

لكنه عرف... أنها كانت **أريان.**

كانت السيدة التي أنقذته تمشي أمامه بخطى ثابتة،
وصوت خطواتها على الأرض الحجرية يُعيد إلى ذهنه طقوس المدرسة...

لكنه الآن في ممرات أقدم.
ممرات رائحتها **رماد قديم،**
كأن المكان تنفّس نيرانًا منذ قرون، ورفض أن يُشفى.

قالت له فجأة دون أن تلتفت:

"هل تعرف من رسم أول رمز؟ "

"لا "...

" فتاة صغيرة. لم تكن تعرف القراءة. لكنها كانت تعرف الحقيقة ".

ثم توقفت عند بابٍ منقوش عليه رمز نيم نفسه...
لكن أقدم، وبتشققات.

"كل من يرسم رمزًا من قلبه... يعيد الحياة لهذا الباب ".

في قاعة مغطاة بالقماش البنفسجي والذهب الباهت،
اجتمع ستة من "الحَفَظة."

قال أحدهم وهو يضرب الطاولة:

" طفل! مجرد طفل أشعل تمردًا رمزيًا في ثلاث قرى! هذا لم يحدث منذ قرن ".

قال آخر وهو يمسك لفافة من جلد:

" وكل الأطفال الذين تبعوه... كانوا ممن شهدوا الطقس الأخير ".

سكتت القاعة.
ثم قالت أكبرهم سنًا، بنبرة باردة:

" إذًا، لم ينطفئ الرماد كما كنا نظن.
بل انتقل إلى أيدٍ صغيرة...
لا تعرف الخوف بعد"*.

نيم اقترب من الباب، ومدّ يده المرتجفة، ووضع كفه فوق الرمز.

لحظة صمت.

ثم اهتزّ الباب.
تشققات خفيفة.
ثم همس، لكنه لم يكن من صوت امرأة أو رجل...
بل **من الحجارة نفسها.**

"كنتُ نائمًا... والآن أُفتح".

ثم انشقّ الباب عن درجٍ ضيق،
تنزل فيه السيدة أولًا، ثم تشير لنيم.

" حان الوقت أن ترى الحقيقة كاملة".

في الأسفل،
نور أزرق خافت، وجدران مغطاة **برموز لم يُدرّسها أحد.**

رموز مشوهة، ناقصة، ملتوية، لكنها نابضة بالحياة. وفي آخر الممر،
تمثال حجري، لا لملك، ولا لجني... بل **لطفل،**
رسم على يده نفس الرمز.

كان نيم يسير خلف السيدة التي فتحت له الباب الحجري، لكن شيئًا ما في داخله بدأ يتغيّر.

رأى رموزًا على الجدران تتحرك قليلاً، كما لو أنها تتنفس، ورأى ظلًا خافتًا يشبه طيف **أريان**...
أخته التي لم يرها منذ الطقوس الأولى.

لكنه لم يكن متأكدًا.

ثم في منتصف الممر، انطفأ النور فجأة.

وسمع صوتًا مألوفًا يقول بصوت خافت:

" نيم؟ "

" أريان؟ "!

لم يرها، لكن صوتها اخترق الصمت.
مد يده نحو الظلام،
فالتقت بكفها الدافئ.

كانت ترتجف.

في زمن بعيد، في مكتبة قديمة مدفونة تحت دير مهجور،
جلس ليوس أمام الكتاب العتيق الذي وُرث في عائلته جيلًا بعد جيل.

لم يستطع أحد فتحه بالكامل...
كان يرفض كل محاولة.

لكن الليلة، بدأت رموزه تتوهج بخفة.

كان يشعر أن أحدهم قد لَمس "*كلمة البداية*."

"*إنه هو... الطفل الذي لم تُطفأ نيرانه*".

قالها، وفتح الصفحة الأولى، فانطلقت من الكتاب خيوط من الضوء.

عندما لمست أريان يد نيم، انفتحت الأرض تحتهما بلطف، كأن شيئًا ما كان ينتظرهما معًا.

وجدوا نفسيهما داخل قاعة مدوّرة، جدرانها زجاجية، وخلفها تتحرك مشاهد...
ليست من الماضي فقط، بل **من المستقبل.**

ورأى نيم نفسه يكتب في كتابٍ بيده...
لكنه لم يره من قبل.

قالت أريان، وقد لمعت عيناها بدموع:

"*هذا هو الكتاب، أليس كذلك؟*"

"كتاب من؟"

"الكتاب الذي لم يُكمل... لأنه كان ينتظر يديك".

كان أمام نيم شيء يشبه طاولة دائرية،وعليها **الكتاب نفسه** الذي يحمله ليوس.

لكنه كان مفتوحًا هنا... ينتظر.

كتب نيم أول كلمة بخوف:

"نور".

وفجأة، اشتعلت الرموز على الجدران، وانطلقت الكلمة كصدى في المكان.

"الكلمة الأولى قد كُتبت. الطقس الجديد بدأ".

في زمن أخر

في الظلّ، جلس ليوس يحدّق في الصفحة التي فتحت من تلقاء نفسها.
لم تكن يداه قد لمست القلم، لكن الكلمات بدأت تتشكّل وحدها...
كأن أحدًا ما يكتبها من بعيد.

"نور".

ظهرت الكلمة، ثم تلتها رموزٌ قديمة بلغة لا يعرفها...
لكن قلبه فهمها.

ارتجف الكتاب فجأة، وارتجف قلبه معه.
وقف ليوس، وأخذ الكتاب بين يديه،
وشعر بشيء يُناديه... ليس بصوت، بل **بصدى داخلي**.

"الكلمة كُتبت".

قالها الصوت داخل رأسه،
وأضاف بصوت لا يشبهه:

"إنه يكتب الآن، وسيحتاجك قريبًا".

العودة.

جلس نيم وأريان على الأرض في القاعة التي بدت كأنها خارج الزمن.
كل حركة يكتبها نيم كانت تخلق صدىً في الجدران، تُظهر وجوهًا وأماكنًا وأسماءً لم يعرفها من قبل، لكن قلبه عرفها.

"أشعر أنني لا أكتب فحسب... بل أُكمل شيئًا بدأه غيري".

قال نيم، وهو يراقب الكلمة الثانية تخرج من قلمه:

"ظلّ".

ترددت الكلمة عبر الزجاج،
فانبثق وجه امرأة من بين الانعكاسات، امرأة ذات عيون شاحبة ووشاح أسود... كانت تحدّق فيه.

قالت أريان بصوت خافت:

"إنها الوريثة الثانية بعدي ... التي أحرقوها في الطقس القديم".

" لماذا تظهر لي؟ "

" قد اختلط علينا الأزمنة".

في اللحظة نفسها، ظهر على هامش صفحة الكتاب الذي يحمله ليوس، سطر جديد:

"الكلمة الثالثة تُكتب بنور وظلّ.
الكلمة الثالثة... اسمك".

توقف الزمن للحظة.

"*اسمي؟* "قالها ليوس وهو يحدق في الصفحة،
ثم بدأ الحبر يكتب ببطء:

"**ليوس**".

في القاعة الزجاجية، توقفت يد نيم عن الكتابة حين شعر بحرارة غريبة.
نظر إلى يده، فوجد اسم **ليوس** يظهر على جلده
كوشمٍ يحترق ويبرد في نفس الوقت.

قالت أريان، وقد اتسعت عيناها:

"*لقد اختارك الكتاب... لكنه اختار شخصًا آخر أيضًا*".

"*ليوس؟* "

"*أجل... سيكون هو حامل الكلمة الأخيرة*".

كان نيم لا يزال يحدق في اسم المنقوش على جلد يده. كأنّ النار كتبته لا الحبر. لم يشعر بألم، بل بشيء أعمق، كأن الختم أيقظ داخله بابًا كان مغلقًا طوال حياته.
أريان بقيت تراقبه بصمت، لكن ملامحها تغيّرت، وفي عينيها شيء من الخوف القديم.

–هذا الكتاب... لا يسجّل التاريخ فقط، بل يصنعه، همست.

ردّ نيم، وصوته منخفض كأن الكلام صار أثقل من أن يُقال:

–وما الدور الذي بقي؟ إن كان ليوس هو حامل الكلمة الأخيرة، فماذا أكون أنا ؟

–أنت الذي يفتح الصفحة... لكنه من يُغلقها.

كانت الكلمات ثقيلة، لكن نيم شعر بها تستقر في صدره كأنها الحقيقة الوحيدة في هذا المكان المكسور بين العوالم. رفع نظره نحو الزجاج، فرأى شيئًا لم يكن موجودًا من قبل: انعكاس ليوس، واقفًا في قاعة أخرى، يحمل الكتاب ذاته، لكنه بدا مختلفًا... أكبر سنًا، أكثر هدوءًا، كأن الأعوام مرت عليه دون أن تمر على أحد غيره.

قال نيم، وقد بدأ يفهم شيئًا لم يُشرح له:

–نحن في زمنين مختلفين... لكن الكتاب واحد.

وأجابت أريان، بصوت فيه رجفة:

–وعندما تُكتب الكلمة الرابعة... ستتقاطع الازمنة .

في تلك اللحظة، ارتفعت في الفراغ المحيط بهما همهمة خفيفة. كانت تشبه صوت أوراق تُقلَب في مكتبة لا مرئية. من بين الجدران، خرجت أشباح الحروف، تتجمع حول نيم، وتهمس بكلمة واحدة تتكرر:

–الصفحة البيضاء... الصفحة البيضاء...

قالت أريان وهي تنهض:

–يجب أن نصل إليها قبل أن يفعل ليوس. إن كُتبت الكلمة الرابعة من دونك... سيختل الميزان.

لكن نيم لم يتحرك.

–وإن كنت أنا الخلل؟ وإن كان بقائي هو ما يمنع التوازن من العودة؟

سكتت أريان، لكن الزجاج خلفها تشقق بصوت حاد، وظهر من خلاله ظلّ طويل، ممدود، بلا ملامح... وكأن لا شيء بقي من الوقت.

في الطابق الأعلى من برج المكتبة المحظورة، جلس **ليوس** وسط ضوءٍ رمادي يرشح من النوافذ المغطاة بالغبار. الكتاب القديم بين يديه، لكنه لم يعد كما كان. الأوراق التي ظلت لقرون مقفلة بدأت تنفتح وحدها، تسطر كلمات جديدة بحبر لم يلمسه.

كلمات بلغة يعرفها قلبه أكثر مما يعرفها لسانه.

قرأ بصوت خافت، وكأن صوته نفسه لا يصدّق:

—في اللحظة التي تُرى فيها صورتك في بعدٍ لا يراك، تبدأ الصفحة البيضاء بالتكوُّن... ويُولد الكاتب الثاني.

أغلق ليوس الكتاب فجأة، كأن الكلمات عضّته.

وقف، وسار ببطء نحو المرآة السوداء المعلقة في جدار القاعة. لطالما تجاهلها، لكنها اليوم تومض كأنها حية. اقترب أكثر. لم يرَ انعكاسه. بل رأى **شخصًا آخر** ...وجهًا مألوفًا، شابًا يحمل نفس الكتاب. يحمل نفس الحيرة في العينين.

همس ليوس، كأنما يعترف بشيء دفين:

—نيم...

ثم سقط الظلام حوله، وتشققت الأرض تحت قدميه، وسمع الصوت ذاته الذي سمعه نيم:

–الصفحة البيضاء... الصفحة البيضاء...

لكنّ الصوت كان مختلفًا هذه المرة، أكثر حدة، وكأنه يحذّره لا يدعوه.

ثم ظهر **ظل امرأة**، لا وجه لها، لكن ملامحها متغيرة، تارة تشبه أريان، وتارة تشبه والدته التي فقدها صغيرًا. قالت له بنبرة ليست بشرية:

–إذا اجتمع الكاتبان... اختفى الباب.

سألها، وهو يطوق الكتاب بذراعيه:

–ومن قال إنني أريد أن يُفتح الباب؟

ضحكت المرأة، لا سخرية في ضحكتها، بل حزنٌ قديم:

–لأنك أول من عبر منه... وكنتَ السبب في كسره.

في تلك اللحظة، بدأت كلمات جديدة تُنقش على صفحة بيضاء في نهاية الكتاب. يد ليوس لم تكتبها. ولا يد نيم.

شيء آخر... بدأ يكتب.

كان الضباب كثيفًا في الأروقة السفليّة للهيكل المهجور، حيث لا يجرؤ أحد على النزول بعد أن أُغلق مدخله قبل أكثر من قرن. لكن ليوس لم يكن يبحث عن طريق آمن. كان يبحث عن **الكتاب**.

يده كانت تقبض على شمعة ترتجف، ونفسه يتسارع كلما تقدّم خطوة بين الأعمدة الحجرية العتيقة، كأن الجدران تحفظ ما لا يُقال.

حين وقف أمام المذبح الحجري، أحسّ بانقباضةٍ في صدره، وكأن الهواء تغير. وضع يده على الحجر، فاهتزّت الأرض تحته اهتزازًا خفيفًا، وسمع صوتًا... لا، لم يكن صوتًا. كان **حضورًا**.

من الفراغ بجانبه، انسلت همسة:
"أين أنا ؟... هذا ليس زمناً أعرفه".

استدار ببطء، وقلبه يدقُّ بعنف. وهناك، أمامه، وقف ظلّ امرأةٍ لم يكن يرى ملامحها كاملة، لكنها لم تكن طيفًا عاديًا. شعرها الداكن كان ينسدل كما في وصف القصص القديمة، وعيونها، رغم ضبابها، كانت تعرفه.

"من أنتِ ؟" سأل ليوس.

"أنا من زمنٍ سقط في الطقوس... اسمي **أريان**".

أراد أن يسأل، لكن الكلمات هربت منه.

ابتسمت، ويدها التي كانت شبه شفافة امتدت نحوه، دون أن تلمسه.
"أنت تملك الكتاب... لكنه ناقص".

"كتاب الأجداد ؟"

"نعم. نيم من كتب الصفحة التي لا تراها".

سرت رعشة في جسده، وكأن النبض نفسه يتغير.

"لماذا أنا ؟" همس.

"لأن الطقس الذي مزّقنا، يُعيدنا الآن عبرك".

حدّق ليوس في أريان، محاولًا أن يقنع نفسه أن ما يراه ليس وهْمًا. لكن الهواء تغيّر حوله، وارتفعت حرارة المذبح الحجري كما لو أنّ الطقس نفسه قد بدأ من جديد.

قالت أريان بصوتٍ خافت، "الكتاب الذي تحمل، لم يُكتب كلّه بالحبر. بعض صفحاته حيّة، تنبض بما لم يحدث بعد، أو بما لم يكتمل".

"لكنّي قرأت كل ما فيه. لا شيء يُشير إليكِ".

أجابت، وعيناها تلمعان بندم قديم:
"لأن اسمي لم يكن يُذكر... لقد مُحي من السجلات، ومن الذاكرة. ما تبقّى مني عالق في الطقوس — وعندما أُعيدَ تفعيلها... فتحت لي الطريق للعودة، ولو جزئيًا".

اقتربت منه خطوة، وكانت كل حركة منها تُشبه انزلاق الضوء عبر الماء.
"هل تتذكّر عندما حاولت قراءة الصفحة الخامسة والثلاثين؟"

"نعم... الكلمات كانت تظهر ثم تختفي. ظننت أن الصفحة تالفة".

ابتسمت أريان ابتسامة حزينة. "كانت تستدعيّ".

"لماذا؟ لماذا أنتِ بالذات؟"

"لأنّ ما أُغلق بدمٍ قديم لا يُفتح إلا بنسل من حمل الكتاب أول مرة. وأنت، ليوس... لست بعيدًا عن دمي كما تظن".

شهق ليوس، وسأل وقد بدأ صوته يختنق:
"أنا... أحد أحفادك؟"

"أنت أحد من وُلدوا من بقايا النار".

ثم أشارت إلى المذبح. "ضع الكتاب هناك. دعنا نرى إن كان نيم سيكتب".

وفي اللحظة التي وضع فيها ليوس الكتاب على المذبح، اهتزّت جدران الغرفة من جديد. نيران زرقاء اشتعلت على أطراف المذبح، وظهرت علامات غريبة على الغلاف القديم. انفتحت الصفحات من تلقاء نفسها، وبدأت صفحة جديدة تُكتب ببطء ...**لكن لم يكن ليوس من كتبها.**

على بُعد زمن أخر، في قبوٍ مظلم في مدينة أخرى، كان **نيم** —الفتى الذي عُرف بموهبته في القراءة الفطرية لكتب الأنساب والطلاسم القديمة — يستيقظ من نومه المقلق على صوتٍ داخليّ يأمره:
"اكتب ما لا تعرف... هناك من ينتظر كلماتك".

في ذات اللحظة التي انسكبت فيها الكلمات من المذبح على صفحات الكتاب أمام ليوس، كانت يد نيم، على بُعد قارات، تتحرك من تلقاء نفسها. لم يكن في وعيه تمامًا، كأن شيئًا ما يُمسك بمعصمه ويوجه الحبر على الورق.

كانت غرفته ضيقة، والجدران تعجّ بأرفف مائلة تحمل مخطوطات بالية وأوراقًا مبعثرة، لكن وسط كل هذا، كان دفترٌ جلدي صغير على مكتبه قد فتح تلقائيًا. وبدون أن يرفّ له جفن، بدأ نيم يكتب:

"أريان لم تختفِ تمامًا. إنما قُطعت عن الزمن. هناك صلة بين الدم والكلمة، والكتاب يُعيد ترتيب السلاسل المنقطعة".

توقف للحظة، وقد بدأت أصابعه ترتجف، لكن شيئًا أقوى من الخوف كان يملأ جسده:
شعور بالانتماء... كأن ما يكتبه ليس جديدًا، بل شيئًا كان في داخله دومًا، ينتظر اللحظة المناسبة ليخرج.

كتب مجددًا:

"الوريث الأخير اقترب من الشعلة. لكن الشعلة ليست وحدها في الظلام. من يخمدها قد يكون من الدم ذاته".

شهق نيم، وأزاح يده فجأة.

"ما هذا؟!" همس لنفسه، وهو يحدق في الكلمات التي كتبها دون أن يفكر فيها.

ثم نظر إلى الورقة الأخيرة، فوجد سطرًا لم يكتبه:

"اذهب إلى المدينة التي طُرد منها اسمك. هناك ستقابل من ينتظرك منذ قرون".

في هذه اللحظة، تلاشت الحروف من الصفحة كأنها لم تُكتب قط، لكن صداها ظلّ في قلبه.

نهض من مكانه بسرعة، سحب عباءته، وحدّق في الخريطة الممزقة المعلّقة على الحائط.
أصبعه ارتفع بلا وعي وأشار إلى مدينة ساحلية قديمة، طُمست من الخرائط منذ سنوات طويلة. همس:

"الفيولان"...

في اليوم التالي، كان نيم يعبر السهول الرمادية التي تفصل مدينته عن الحدود المنسية. كانت السماء تميل إلى الرماد، والرياح تعوي كأنها تهمس بأسماء من زمن آخر. لم يكن يدري إن كان يسير نحو مصيرٍ يخصه، أم أنه مجرد صدى لشيء أعظم بدأ منذ قرون.

بينما هو يعبر جسراً متهالكًا فوق نهرٍ جاف، ظهرت له امرأة عجوز تجلس عند ضفة الماء، تحدّق فيه بعينين غريبتين، إحداهما بيضاء كالعاج والأخرى سوداء كالليل.

قالت دون أن يسألها:
"تحمل الحبر في دمك، والكتاب يطلبك، لكن المدينة التي تقصدها لا ترحب بمن عادوا من النسيان".

توقف نيم، حاول أن يرد، لكن لسانه انعقد.

أكملت:
"أريان لم تكن النهاية. كانت مفتاحًا فقط. ما كُتب عنها في الأساطير ليس الحقيقة. ليوس سيعرف، لكن متأخرًا. أما أنت... فأنت من يجب أن يعيد ترتيب الزمن".

اقترب منها خطوة، وسألها أخيرًا بصوت خافت:
"من أنتِ؟ وكيف تعرفين هذا؟"

ابتسمت، وقالت:
"أنا من كتبت أول سطر في الكتاب... منذ ثلاثمئة عام".

ثم اختفت.

في زمن آخر، كان ليوس واقفًا أمام مرآة حجرية عملاقة، في قاعة مدفونة تحت القصر. المرآة لا تعكس صورته، بل تعكس امرأة ذات شعر أسود طويل، تحدق فيه بعينين مألوفتين... عينا أريان.

قال بصوت مرتجف:
"كيف...؟"

لكن المرأة لم تجب. فقط رفعت يدها ببطء، وظهرت في راحة يدها كتابة متوهجة بلغة قديمة.

نفس الكلمات التي كان نيم يكتبها قبل يوم.

شعر ليوس بقشعريرة تغزو جسده.

"من يكتب في الكتاب... من يكتب في دمنا؟" تمتم.

في اللحظة التي انطفأت فيها صورة المرأة من على سطح المرآة، سمع ليوس همسًا في القاعة — صوتًا لا ينتمي لهذا العالم. لم تكن كلمات مفهومة، بل صدى مشاعر: خوف، اشتياق، وندم عميق... كما لو أن المرآة نفسها تبكي الماضي.

مدّ يده نحو السطح البارد، لكنه لم يلامس إلا الحجارة. لا أثر للسحر الآن، فقط جدار قديم، صامت.

قال بصوت خافت لنفسه:
"أريان... إن كنتِ لا تزالين هناك، فسأجدك".

على الجانب الآخر من الأرض القديمة، كان نيم يقترب من أطلال بوابة ضخمة نصف غارقة في الرمال. نُحتت على قوسها رموز قديمة تشبه ما رآه في كتاب ليوس عندما كان يخدمه سرًا في القصر.

لكنه لم يكن وحده.

من بين الحجارة، خرجت شابة بثياب مغطاة بالغبار، مسلحة بخنجرين قصيرين، تحدق فيه دون خوف.

"من أنت؟" سألت بصوت حازم.

أجاب: "اسمي نيم. أنا كاتب... أو كنت كذلك. أبحث عن المدينة المنسية".

قالت: "كل من يبحث عن هذه المدينة لا يعود... أو يعود مجنونًا".

ابتسم نيم ابتسامة خفيفة وقال:
"إذن قد أكون مجنونًا بالفعل".

نظرت إليه لبرهة، ثم قالت:
"أنا فاي. لا أحد يدخل هذه الأرض وحده، ولا يخرج منها كما دخلها. إن كنت تنوي العبور... فأنا ذاهبة أيضًا".

سألها: "بحثًا عن ماذا؟"

قالت: "عن مَن كُتب اسمه في أول سطر من هذا الجنون".

في مكان آخر، عاد ليوس إلى قاعة الكتب القديمة، وأخرج مجلدًا مهترئًا من رفّ مخفي. كان هو الكتاب ذاته الذي كتب فيه أجداده، والذي بدأت فيه أريان أولى الكلمات منذ ثلاثمئة عام.

وها هو الآن... سطر جديد يُكتب أمام عينيه.

"دخل نيم المدينة، وكان يحمل الحبر في عروقه، والاسم في صوته... أما ليوس، فقد اقترب من الحقيقة، لكنه لم يعرف بعد أن الحقيقة كانت تراقبه منذ البداية".

شهق ليوس.
"الكتاب يكتب نفسه... والكاتب ليس من يظنه الناس".

في عمق المدينة المنسية، وبين الجدران المتآكلة التي ابتلعها الزمن، بدأ نيم يشعر بشيء يتغير. لم تكن الأرض كما كانت عند دخوله — الهواء أصبح أثقل، والهمسات التي كان يظنها تهيؤات، بدأت تترسّخ في عقله.

كان يمشي بجانب فاي حين توقّف فجأة. سألته:
"ما بك؟"

قال وهو ينظر إلى أحد الجدران:
"هذه الجملة... لقد كتبتها أنا".

رفعت حاجبيها:
"أين؟"

أشار إلى نقش على الحجر، قديم جدًا، بالكاد يُقرأ:
"حين يكتب الكاتب في مكان لا يتغيّر، يتغيّر كل شيء من حوله".

قالت فاي، وقد بدأ القلق يتسلل إلى صوتها:
"أهذا مزاح؟ هذه الجملة قديمة، محفورة منذ قرون".

قال نيم، وقد شحب وجهه:
"لكنني كتبتها البارحة... في دفتر ملاحظاتي".

في القصر، كان ليوس يتنفس بصعوبة. قلب الصفحات التي بدأت تُدوَّن وحدها في الكتاب. كلمات تظهر وتختفي، بعضها يتبدد، وبعضها يُثبّت كأنه وُقّع بالدم. ثم توقفت الكتابة فجأة.

بقيت جملة واحدة واضحة على الصفحة:
"ما إن يلتقي حامل الحبر بحاملة الدم، ينقلب الكتاب على كاتبه".

رفع ليوس عينيه وقال بصوت مرتجف:
"من هي حاملة الدم؟"

لكن المرآة خلفه أجابته. لم تتكلم، لكنها عكست وجهًا... وجه لم يره منذ الطفولة.

أريان.

لكنها لم تكن كما يتذكرها — بدت أكبر، عيناها فيهما حزن العصور، وشفتاها تتمتمان دون صوت.

اقترب منها.

همست المرآة أخيرًا:

"أنتَ الذي كتبت نهايتك، ليوس... وأنا، من بدأ الحكاية، لن أُنهيها وحدي".

في المدينة المنسية، نظرت فاي إلى نيم نظرة مختلفة.

قالت بهدوء:
"اسمك ليس نيم فقط، أليس كذلك؟"

هزّ رأسه، وقد بدأ يتذكّر... ليس فقط أحلامه، بل شيئًا أقدم من الحلم.

قال:
"لا... اسمي الحقيقي نُسي في الكتب. لكنني كنت هناك حين كتبت أول سطر.
كنت هناك حين خانت أريان العهد".

نظرت إليه فاي وقد تسارعت أنفاسها:
"وهل كنت هناك حين خُتمت المدينة؟"

قال نيم بصوت خافت:
"بل كنت أحد من ختَمها".

كانت المرآة خلف ليوس تتشقق ببطء، لكن كل شرخ فيها لم يكن يظهر كصدع زجاج، بل كخطّ من الحبر الأسود الداكن، يمتدّ ثم يتفرّع، وكأن الكتابة نفسها تُعيد تشكيل انعكاسه.

وقف ليوس مشدوهًا، يحدّق في صورته التي لم تعد له. كان يرى رجلاً يشبهه، لكن أكثر وحشية، أكثر تيبّسًا... وكأن الماضي الذي دفنه بعناية، عاد ليطالب بحقه.

ثم سُمع الصوت.
لم يكن صدى خارجيًا، بل من داخل المرآة... ومن داخله.

"أين أضعته؟"
همس الصوت.

"من تقصد؟" سأل ليوس.

"الكتاب... الذي لا يُكتب، بل يكتبك".

اقترب ليوس أكثر، قلبه يطرق كطبول الحرب. أراد أن يصرخ، أن يُخرس الهمسات، لكن كفه امتدت رغماً عنه ولمست سطح المرآة.

وفجأة... سقط في الظلام.

في المدينة المنسية، حيث كان نيم واقفًا تحت الجدار الذي عرفه، توقّف فجأة عن الحركة. سقط على ركبتيه.

"ليوس... دخل المرآة".

فاي نظرت إليه بعدم فهم.
"كيف تعرف؟"

"الكتاب الذي مع ليوس متصل بي. كُتب ذات يوم على يد جدي. وأنا... وريث الحبر".

"وما الذي يحدث له؟"

"إذا دخل المرآة دون أن تُعاد كتابة العهد، فلن يخرج منها كإنسان. بل كظل".

فاي اقتربت منه ببطء، وسألت بصوت منخفض:
"ومن هي أريان إذن؟"

"الخطيئة الأولى..." تمتم نيم، "وأمُّ كل ما جرى بعد ذلك".

في القصر، خلف جدرانه الصامتة، كانت أريان واقفة. لا أحد يعرف أنها عادت. لا أحد يدرك أنها لم تمت. لكن عينيها كانتا معلقتين على المرآة المتشققة.

قالت لنفسها، وكأنها تتحدث إلى حارس قديم:

"لقد دخل... الآن تبدأ اللعبة من جديد".

ثم دارت على عقبيها، وخطاها تتجه نحو السرداب القديم، حيث وُضع أول ختمٍ للحماية، قبل ثلاثمئة عام.

حيث خانت أريان العهد لأول مرة.

في العتمة الكثيفة التي لا تعرف زمنًا، وقف ليوس في عالمٍ بلا أفق ولا أرض. المرآة لم تكن بابًا، بل فخًا، أو لعلها كانت طريقًا لا يُفتح إلا لمن فقد يقينه.

كان يسمع خفقات قلبه كأنها نبضات الكون. أمامه، أخذت الأنقاض تُشكّل مدينة... لكنها لم تكن من حجر أو طين، بل من ذاكرةٍ ممزقة، من مشاهد منسية.

شاهد أمه تمشي في رواقٍ بارد، ثم تختفي.
شاهد يده تكتب على كتاب لم يفتحه يومًا.
شاهد أريان... وهي تتكلم باسمه، منذ قرون، قبل أن يولد.

"ليوس".
جاء الصوت من خلفه، رخيمًا، كأن كل الأرواح تنطق به.

استدار، ورآها.

كانت أريان، لكنّ الزمن لم يترك عليها أثرًا. بشعرٍ فضيّ وعينين تكسوهما الظلال، وقفت أمامه وكأنها لم تكن يومًا إنسانًا.

قالت له بهدوءٍ مميت:
"ظننت أن المرآة ستأخذك قبل أن نلتقي".

"من أنتِ؟" سأل، رغم أنه كان يعرف.

"أنا التي خطّت البداية... وأنتَ الذي ستحرق الخاتمة".

تقدمت نحوه، ولم تلامس الأرض.
"لقد دخلت الكتاب، يا ليوس. لكنك نسيت أن كل كتابٍ لا يكتبه أحد، يكتب نفسه... من دم الداخل".

"لم آتِ باختياري".

ابتسمت.
"ولا أنا، قبل ثلاثمئة عام".

في هذه اللحظة، بدأ جسد ليوس يضيء بخطوطٍ من نورٍ باهت.
كانت الكلمات القديمة تظهر على جلده، تنسخ نفسها عليه كما نُسخت على جلد أسلافه.

لكن شيئًا غريبًا بدأ يحدث... لم تكتمل الجملة.

توقفت الحروف، وظهر سطر ناقص... كأن شيئًا مفقودًا في القصة.

رفعت أريان بصرها، وببطء قالت:

"أين نيم؟"

...

في العالم الخارجي، عند حدود المدينة القديمة، كان نيم يرتجف. أمسك كتابه، وفتحه. فوجد آخر صفحة تنبض... لكنها خالية.

قال بصوتٍ خافت:

"الكتاب يطالب بالدم... لكنه هذه المرة، لا يريد دمًا من الداخل".

رفعت فاي نظرها إليه:

"إذًا... من سيكمل القصة؟"

رد نيم:
"أنا... أو أنت.
أو أحدٌ لم يُكتب بعد".

ارتجف الهواء حول نيم، وبدأت صفحات الكتاب تتقلب وحدها، كما لو أن يدًا خفية تُعجل بالقدر. كانت الحروف تتشكل أمام عينيه، ثم تختفي... كأنها تجرّب أن تُولد، ثم تخاف المصير.

قالت فاي، وهي تقترب من الضوء الباهت المتصاعد من بين الصفحات:

"ما الذي يكتبه؟"

أجاب نيم، دون أن يرفع نظره:
"إنه لا يكتب شيئًا... إنه يستدعي.
كأنّه يبحث عن ذاكرة لم تُكتب بعد".

فجأة، تجمّدت الصفحة. ظهرت كلمة واحدة فقط، بلون أحمر قاتم:

"اختر".

همس نيم:
"اختر؟ اختر ماذا؟"

لكنّ الصفحة التالية أجابته. لم تكن كلمات، بل رسم. كان وجهًا، نصفه ظل ونصفه نور.
أريان... وليوس... لكن بخطوط متداخلة، كأن الزمن قد خلط ملامحهما.

قالت فاي بصوت متهدّج:
"هذا... هذا طقس الدم المفقود".

"طقس؟" تمتم نيم.

أومأت.
"في أساطير الشمال، يُقال إن المرآة لا تُفتح إلا بثلاثة: دمٌ من الماضي، دمٌ من الحاضر، ودمٌ من الذي لم يُولد بعد".

نظر إليها نيم، فزِعًا.

"ومن هو الذي لم يُولد بعد؟"

نظرت فاي إليه طويلاً، ثم قالت:

"أنت، نيم".

شهق.

"أنا ؟"!

"دمك لا ينتمي لهذا الخط الزمني. لم يُسجل بعد في صفحات الكتاب.
أنت الوحيد الذي يمكنه كسر الحلقة... أو تثبيتها إلى الأبد".

في تلك اللحظة، اهتزت الأرض من تحتهم. وظهر صدع في الهواء، كشّق برق طيفيّ يكشف عن لمحة من العالم الآخر... ليوس على ركبتيه، وأريان تضع يدها على صدره، كأنها تحاول منعه من الانطفاء.

نيم لم يفكّر.

أغلق الكتاب، وطعنه بشفرة صغيرة بين ضلوعه. لم يكن جرحًا قاتلًا... لكنه كافٍ.

وسقطت قطرة دمٍ واحدة على غلاف الكتاب.

...

في المرآة، شهق ليوس، كأن روحًا جديدة قد دخلت جسده.

نظرت أريان إلى السماء السوداء، وهمست:
"اختار".

ثم مدت يدها إليه، وقالت:

"قم. الوقت لم ينتهِ... لكنه لم يبدأ بعد".

وقف ليوس يترنّح، يده ما تزال ترتجف من أثر الطقس، ودم نيم الذي عبر الأزمنة يقطر في أعماقه كوميض نارٍ باردة. الهواء من حوله تغير، صار أكثر ثقلاً، كأنّه يحمل رائحة النهاية.
أمام المرآة المتشققة، كانت أريان تقف، نصف جسدها غارق في الضوء، ونصفه الآخر في ظلٍّ يتداعى.

قالت بصوت بالكاد يُسمع، كمن يتحدث من داخل حُلمٍ يحتضر:
"الآن... صار لك الحق أن تعرف".

اقترب منها ليوس، يداه ممزوجتان بالحيرة والخوف.
"أريان؟ ما الذي يحدث؟"

ابتسمت، لكنها لم تكن ابتسامة نجاة.
"تذكرتُ كل شيء، ليوس. الطقوس... الكتاب... والدم القديم الذي طهّر الممر. تذكرتُ أين كنا، وكيف انكسرنا".
ثم أمسكت يده، وضعتها على صدرها، حيث ينبض قلبها بضعف.

"هذا الجسد ليس لي بعد الآن. لقد استُهلك كي تُفتح البوابة، وأنا... كنت أداةً للفتح فقط".

"لا، لا تقولي ذلك! لسنا أدوات!" صرخ ليوس، عينيه تتلألآن برجاء يائس.

"أعرف." همست أريان، ثم تابعت:
"ولهذا... عليك أن تنقذها. سيرين. هي... ما تبقى. دم من الماضي والحاضر والمستقبل. هي التي لن تُخطئ الطريق".

سقطت على ركبتيها، وغطى السواد أطراف ثوبها، كأنّه يسحبها نحو الفراغ.

اقترب ليوس، ضمها إلى صدره، وهمس:
"سنجد طريقة. أنتِ قوية، أريان".

لكنها هزّت رأسها.
"لا تبحث عني بعد الآن، فقط... احمها. لا تجعلهم يصلون إليها كما وصلوا إليّ".
ثم، للمرة الأولى، أغمضت عينيها دون قلق، وابتسمت بسلام.
"أخبرها... أنني كنت أحبها، بطريقتي. وأنني حاولت... حتى النهاية".

ساد صمت عميق. ثم انفجرت المرآة، وتحوّلت إلى غبار مضيء يتناثر كنجوم تموت في السماء.

...

وقف ليوس وحيدًا.

وفي يده، وشاح أريان، مبلل بدمها، ووصية لا تغفر النسيان:
احمِ سيرين... مهما كان الثمن.

في أيامها الأخيرة، وقفت **أريان** وسط المعبد القديم، وقد أنهكها النزف والصراع.
كتبت في الصفحة الأخيرة من الكتاب القديم الذي ورثته عن أسياد النور:

"إذا وصل هذا الكتاب إلى من يستحقه، فليعلم أن الظلام لا يُقهر إلا بالنار التي تنبع من القلب.
وإن وُجدت فتاة تُدعى **سيرين**، ذات عينين كالبرق وصمتٍ يحمل عاصفة، فليُحمَ هذا الاسم.
إنها لن تأتي من بيننا، بل من بعدنا، لكن نورها سيرتق ما فُقِد، ويشعل ما انطفأ.
احمِها إن كنت قادرًا... وإن لم تكن، فاترك لها هذه الكلمات".

ثم أغلقت أريان عينيها... وسقطت.

مرّت القرون، حتى وصل الكتاب إلى يد **ليوس** في زمن آخر. لم يكن يعلم عن أريان سوى أساطير، لكنّه حين قرأ اسم **سيرين**، أحسّ بشيء يتغير في داخله.
كأن شيئًا ما ينتظره أن يفي بوعد لم يقطعه هو، بل قُطع قبل ثلاثمئة عام.

كانت العاصفة تزمجر فوق رؤوسهم، حين توقّف **ليوس** عند مدخل المعبد المنسي، نصفه مطمور تحت الأرض، ونصفه الآخر متصدّع وكأن الجبال حاولت ابتلاعه يومًا ثم ندمت.

كان يبحث عن مأوى من المطر، ولم يكن يتوقع أن يقوده طريقه إلى هذا المكان الذي لم يُذكر في خرائطه، ولا في سجلات الممالك.

دفع بابًا حجريًا بالكاد تحرّك، ثم نزل بخطى حذرة نحو الدرج المظلم، حيث الهواء أبرد مما يجب، وحيث الصمت لا يشبه أي صمت عرفه من قبل. كان المكان مغمورًا برائحة رماد قديم... ورائحة شيء آخر، لا يعرف كيف يصفه... كأن الزمن نفسه تعفن في هذا المكان.

توقّف أمام هيكل رخامي في قلب القاعة، وفوقه صندوق خشبي مطعّم برموز غريبة، محفورة بلغة لا يُجيدها... لكنه تعرّف على الختم. كان نفس الختم المنقوش على قلادته التي ورثها عن أمّه.

فتح الصندوق.

بداخله، وُجد كتاب.

كان مغطى بطبقة رقيقة من الغبار، لكنه حين لمسه، تلاشت الغبار كما لو كانت خيوط حلم. على الغلاف نُقش اسم بخط دقيق:

أريان بنت أربان

وفي أول صفحة، بخط أنثوي مشوب بالتعب، قرأ:

"إلى من يجدني، هذا الإرث ليس لي وحدي. وإن وصلتَ إليه، فقد وصلنا معًا إلى الحافة... أنت آخر من تبقّى".

تصفّح الصفحات، وقرأ عن مدن لم يعد لها وجود، وطقوس لم تُمارَس منذ قرون، وعن امرأة تُدعى **سيرين**، تنبّأت بها أريان قبل موتها.

كل شيء فيه اهتز.

كيف علمت هذه المرأة القديمة عن سيرين؟ ولماذا طلبت حمايتها؟ وهل من صدفة أن يعرف هو فتاة بهذا الاسم، تحمل في داخلها ذلك الشيء الغامض الذي لا يعرف كيف يسميه؟

وقف **ليوس** هناك طويلًا، يشعر كأنه لا يحمل كتابًا، بل يحمل عبئًا وُلد قبل أن يولد.